

وحيد الدين بهاء الدين

الاتجاه الاسلامي في شعر خالد الشواف

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

***

متى ما عرفنا ان خالد الشواف ينسل من بيت فضيل .. عريق في احتضان المجد الديني والعلمي بالعراق وتوطيد المثل الروحية والخلقية على قدر مستطاع في مسالك المجتمع واقامة الحياة على ارهاصات ما توارثناه من المعاني والمبادىء وعلى اصالة ما تداعى الينا عبر القرون من التعاليم والمشخصات ، ادركنا الى اية درجة يتجاوب في قرارته مع اصداء هذا المجد ويدعو الاخرين بلسانه وبيانه وفي كل سانحة الى استشراف شمائله واثاره والذب عن حوضه بكل ما ترصد من امكانات وجهود ، حفاظا على ما لا بد منه من عاديات الدهر وتخليدا لما ينبغي من ذخر الحضارة .

كان لهذه التربية الرائعة بكل ابعادها انعكاس ايجابي على شخصيته ومزاجه .. على واقعه الفكري والادبي .. حيث صقلته عقليا وصهرته وجدانيا وسوته خلقيا ، في حين يمكن وفي احوال اخرى ان يصبح رد الفعل مضادا لدى البعض ممن هم على هذا الطرز من ابناء الجيل .. اي جيل .

وارد ذلك ... مهما يكن من شيء فان مبعثه في الاستعداد الفطري والسلوك النفسي لدى المرء ، لا يلبث ان يتأثر بتيارات البيئة ومنطلقات اللحظة الحضارية وتناقضات القيم المجتمعية السائدة اما لتقبل مثل هذه الاسباب والرضوخ لها ، واما لمقاومتها يعني رفض الهزيمة امامها .

ولما كان الشواف وما ينفك شاعرا مرموق المكانة في الادب العراقي المعاصر ، له موقفه وهدفه ، فان واقعه الشعري تتنازعه اتجاهات ثلاثة ، هي الاتجاه المسرحي المتمثل في مسرحيات (شمسو . الاسوار . الزيتونة) والاتجاه القومي والوطني المتجلي في ديوانيه (من لهيب الكفاح . حداء وغناء) ، ثم الاتجاه الاسلامي البادي في قصائده الجياد الكثار هنا وهناك ولا ينتظمها ديوان مستقل بعد .

غير مقبول من الوجهة العلمية ان يتغافل عن هاتيك الاتجاهات المتميزة اي باحث وكاتب في شاعرية الشواف ولاي اعتبار كان وهو يحاول توضيح خصائصها الفنية ومنطلقاتها الاساسية وان كنا نحن نحسب ان الغلبة هي للاتجاه الاسلامي بسبب من الارضية العريضة .. المتينة التي يقف عليها الشواف ويستقي من اصالتها مضموناته الشعرية والفكرية ويدعم بها نظراته وخواطره الخاصة والعامة .

ولو سرحنا نظرة عجلى في مسرحيتي الشواف الشعريتين : (شمسو . الاسوار) ، لطالعتنا فيهما ومضات مشرقة من النفحات الاسلامية والعربية بينما نجد مسرحيته « الزيتونة » يسودها الطابع الاسلامي المحض فكرة وغاية .

جاء في نهاية الفصل السادس من المسرحية :

الرجل :

دخلناها وتكبيرنا يصعد من افواهنا والقلوب
ويمم الكعبة خير الورى في موكب لله فخم مهيب
فكبت الاصنام من فوقها ومن حواليها وقام الحبيب
فطهر البيت وصلى به وكبر الله السميع المجيب
واقبلت من بعد افواجنا تسعى وفي كل فؤاد وجيب
وجاءت الافواج من مكة تشهد لله وللمصطفى
وتنبذ الشرك واصنامه ، فقد هداها الله فيمن هدى

احد الحاضرين :

ما فعل المختار صلى عليه الله فيمن ناله الاذى

الرجل :

قال لهم ماذا تراني بكم افعل ؟ قالوا لابر الورى :
خيرا .. اخ انت كريم .. فما كذبهم في ظنهم بل عفا

بعد ان توضحت لنا معالم الطريق بالنسبة الى استئثار الاتجاه الاسلامي بشعر الشواف باتت الاطلالة عليه والحديث عنه شيئا ذا بال ...

مسلم به ان شاعرا في مستوى المسؤولية الادبية والتاريخية كالشواف اشرب تعاليم الاسلام واستوعب معظم حقائقه وحوادثه واستوقفته اكثر حركاته ومواقفه لا مندوحة له عن تحشيد قواه المخزونة من اجل الانهاض بالكيان الحضاري للاسلام والعرب .. هذا الباقي بقاء ابديا ، وصد افاعيل الكائدين والمستعمرين ، كذلك لا مندوحة له عن تصوير ما تتابعت عليه من اخطار وخطوب وما منيت به من هزائم وخسائر ، مقارنا بين اقباله وادباره .. بين ماضيه وحاضره .. بين عزه وذله

.. بين ايثاره الجهاد في سبيله والقعود عنه .

لنسمعه ماذا يقول في قصيدته « عـز الماضي وذل الحاضر » :

فقد رأيت الهداة الراشدين على   ما شاء مرشدهم مـن منعة وتقى
وكنت في عبد شمس لا اكاد ارى   شبرا من الارض لم يزجوا له البلقا
وكنت في ال عبـاس يجاذبنـي   للسيف والعلم برد الفخر ما استبقا
وكنت عند بني الزهراء في كنف   يضيئه ازهر مثل السها القـا
وقـد رأيت صلاحا في ملاحمـه   تعشو النجوم اذا بناره برقـا
طوفت فيهم وبي من عزة صيـد   وقد لويت بكـم من ذلتي العنقا
من ذا اذلكمو يـا قـوم ويحكمو   هل طاف بالذل فيكم طائف فسقى
من الملوم على مـا صار امركمو   اليه ؟ والكـل لوام اذا نطقـا

وقوله في قصيدته « ذكرى وشكوى » يثير الشجو والشجن :

هـذا رسول الله حاضر امـة   كانت لصولتها الجبابـر ترعـد
عزت بدين الله يـوم مشى بهـا   في نـوره ومشت بـه تسترشد
كان الجهاد يقود منهـا جحفلا   في الله يستل السيوف ويغمـد
ويدك ما شاد الضلال من البنى   ويقيم اركـان الهـدى ويوطـد
وملاك عـز المسلمين جهادهـم   ان الجهاد هو العلـى والسؤود
ارأيت كيف ـ اذا الجهاد مضيع ـ   ركنوا الى الذل المريـر واخلدوا
والذل ان ركـب النفوس تحملت   ما ليس يحمله الصفا والجلمـد

ويسوق اللوم والعتبى معنفا في اسلوبـه الشعري المباشر وخطابه العام :

ويدور الزمان دورتـه النكـر   فننأى عـن الهـدى ونجافـي
فاذا نحـن كثـرة وعديـدا   كغثاء في غامـر السيـل طـاف
اين كنا ؟ واين عدنـا وماذا ؟   حـل بالركب اخريـات المطاف
لا تسلني .. فالقوم اعجاز نخل   صرعتها مـن السمـوم سوافـي
اظمأتنا الحيـاة حيـن ضللنـا   فمتى العـود للمعين الصافـي

ولكن الشواف في قصيدته « ذكرى الاسراء في عام النكسة » تجيش عواطفه لاهبة لما لحق ببني قومـه .. بني وطنه ، وتتجدد احزانه ثائرة علـى أولئك المارقين المتهاونين في غسل العار العربي بفلسطين على نحو يتناهى الى نصابه اذا صدقت النيات وصحت العزائم :

يا بارك الله في الذيـن لهم   مـن الجدود المثال والشيم
الشاهرين الفـداء اسلحة   والمسرجين الحتـوف تقتحم
والناثرين الرصاص في عرس   تخضب فيـه الجباه واللمم
والنابذين الحلـول مخزية   والرافضين السـوام يهتضم
والاخذين الحيـاة مأخذها   غابـة وحش بالناب تقتحم
لا يحكم العدل في مساربها   بـل الغلاب المضرج الحكـم

انما الشواف في تناوله الصور التاريخية والحوادث السياسية ، تلك التي سبقت واعقبت ظهـور الاسلام وفتوحه وخلقت الاجواء الملائمة لتطور كثير مـن الافكار والمفاهيم الى غير ما كان منتظرا لهـا ، وبروز مسالـك جديدة في حياة الامم ومواقفها ـ نقـول في تناوله اياها انما يجسدها باخلاص موضوعى وصدق فنى لكون الاول عملية خارجية تخضع للواقع المادي ولكون الثاني عمليـة داخلية تخضع للتجربة الذاتية .

ومن الاحداث على سبيل الذكر « ميلاد الرسول » صلى الله عليه وسلم . « العام الهجري » . « موقعـة بدر » . « ليلة القـدر » . « الاسراء والمعراج » ومـا اليهـا .

فقد قال في قصيدة « ذكرى وشكوى » :

هزج علـى شفة الزمان مخلـد   تفنى الملاحن وهو بـاق سرمـد
ينثال في سمع الوجـود وقلبـه   فاذا الوجـود مرنـح يتـاود
يا موسم الهدي المبارك مرحبـا   لـم لا تحييك الشـداة وتنشد
انت الربيع فكيف لا تشدو بـه   ان البلابـل في الربيـع تغـرد
مسحت مواجعها وقـد طالعتها   مهج لتبسم للحيـاة واكبـد
وطلعت انت وكان فيك المولـد   وظللت وحدك خالـدا تتجـدد
هيهات لا تنفض سوق للهـدى   في الارض واسم (محمد) يتردد

كذلك يقول في قصيدة « موسم المجـد » الخاصة بذكرى موقعة بدر الكبرى والحاسمة في تاريـخ الاسلام والعرب :

لا غاية في ذاتها . فالعملية عملية ربط تاريخي ومزج فني للخروج منهما بصورة اكثر واقعية واوسع افقا واعمق رؤى ...

دونك قصيدته « ليلة القدر .. دعوة » فانك لواجد وصفه ليلة القدر بكل مظاهر التجسيم الموضوعي والفني ولكنه ينتقل بحكم طبيعة الاشياء التي تفرض وجودها الى اهم ما كان يشغل البال ويكتنف الحال يومذاك من عام ١٩٥٤ ، داعيا الى الثورة على الاستعباد والارهاب ومن ورائهما الاستعمار البغيض والتطويح بالسالبين حقوق الشعب والسارقين قوته والساحقين امانيه وتطلعاته .. هذا الشعب المغلوب على امره .. المعزول سياسيا وفكريا عن العالم الخارجي بكل اهوائه واضوائه .

هكذا يستهل قصيدته :

هي حتى مطلع الفجر سلام … فسلام ليلة القدر سلام
ليلة الذكر ضياء وهدى … ودعاء مستجاب وقيام
كم امان سبحت في جنحها … مثلما يسبح في الجو حمام
الهدى والامن والسلم بها … حلم العالم والافق قتام

ثم يستطرد :

ليلة الران كم جرح له … بهدى آياتك الغر التئام
اقبلي بالبلسم الفذ الذي … فيك فالارض احتراب واختصام
مرجل تذكي المساعير اللظى … تحته والحطب الجزل الانام
بدت الشحناء في افواههم … فادرايها اول الحرب كلام
اوشكوا ان يربطونا حزمة … في اللظى تلقى اذا اشتد الضرام
اوشكوا فالقوم ايقاظ لما … بيتوا والمصطلو النار نيام

وينتقل الشاعر الشواف انتقالا طبيعيا الى عرض ما يثقل الفكر هما ويزيد القلب كدرا :

هذه (الاحلاف) لا شان بها … لك يا شعب ففيم الانضمام
دفعوا عن (عالم حر) وما … انت بالحر فما ثم التزام
انت مقهور مضام ومتى … نصر القاهر مقهور مضام
نهبوا ارضك زيتا وجنى … واستباحوا واباحوا واساموا

ويشن الشواف حملة شعواء شديدة على حضارة الغرب الغارقة في حمأة المادية .. لانها جاءت تناهض الاسلام جهرة لطمس معالمه الانسانية وشعائره الازلية الابدية ، واحلال مفاهيم الانحلال والتحلل والكفر والعهر محلها ، ولانها حضارة لا تعترف بحقوق الانسان بالمعنى الصحيح ـ كما تدعي ـ بقدر ما تشجع التفرقة والضغائن وتنازع البقاء بين الامم وتأليب الظالم على المظلوم ، وايثار الدجل السياسي والدعارة الثقافية لبث السموم وتحقيق المآرب :

من سطوة الذر والمكروب سطوتهم … بئست بطولتهم فتك واسقام
رسل الحضارة لا كانوا ولا شمخت … حضارة رسلها في الارض اقزام
مزدعيها الامن ما في الشرق حاق به … وحارسو الامن انصاب واصنام
من العدالة من اخلوا ديارهمو … لغاصبيها ومن بادوا ومن هاموا
من المساواة ان المؤمنين بها … من ولد آدم الوان واقسام
جلوا حضارتهم جسما وما حفلوا … بروحها فهي تزييف وايهام
ان النفوس اذا ما شابها كدر … لم تصف ما بلغت في اللطف اجسام

اما خواطره في « موكب الذكرى » فتنثال وتتداعى حتى ليرتفع بها الى ذروة الادراك الكلي العميق في مجابهة الحقائق المرة والفجائع القاصمة ولمس خطورة الحال التي سنتردى في اغوارها اذا ما امعنا في الارتماء كالعميان في احضان الحضارة الغربية .. لا نميز الخير من الشر .. ولا الصالح من الطالح :

يا ايها الشرق هل اقصيت منتجعا … وافى حياضى فلم يعبق بها فمه
اما ترى الغرب مسعورا به شره … فكيف غرك معسول ينمنمه
هو المريض وهل يشفيك من رهق … من لم تبل من الادواء اعظمه
اي السراطين اهدى للتي انقطعت … ما كله بان .. ام غاب معظمه
واي ركنين اوى للتي اغتربت … ما يدعم الله ام ما الغرب يدعمه

ويرى الشواف ان الوحدة تضع حدا لكل هذا الذي ينيخ بكلكله ويقض المضاجع ..

من هنا يدعو الى هذه الوحدة لتكون درعا واقيا من المضاعفات المحتملة ولتصبح اداة تنفيذ لتحقيق الاحلام والمطالب المشروعة :

اعتصم بالوحدة الكبرى فما … في سواها لك يا شعب اعتصام
انها عروتك الوثقى وما … لعرى يمسكها الشعب انفصام

ثم يعزز موقفه الوحدوي .. لان الوحدة هي ضربة للاستعمار وحد من تدخلاته وتطاولاته :

انما العزة في وحدتنا … فاقيموا صرحها تحيوا كراما
من يرى الوحدة شرا غير من … قلبه عن كل خير يتعامى

تحتل قضية فلسطين في شعر الشواف المكان الحري به لارتباطها بالوجود الاسلامي والعربي ارتباطا دينيا وتاريخيا يستحيل ان يأتي عليه الزمان ـ مهما تمادى ـ بالنسيان ، ومهما حاول الصهاينة والمستعمرون تشتيت شمل المسلمين والعرب والهائهم عن ما يشغلهم وتحطيم وحدة الدين واللغة والشعور .

لذا فان الشواف بايحاء وجداني ينعطف في معظم قصائده الاسلامية ذات المسحة الرومانسية تارة ، وذات الاسلوب الخطابي المباشر اخرى ، بحسب الحالة النفسية التي يمر بها ، الى محنة فلسطين تصويرا وتفسيرا ... تعبيرا وتعليلا ، كما هو الشأن في قصيدة « قبس من بدر » :

يا فلسطين ... طوينا صفحة … جللتها نكبة الامس سوادا
تخذ العار الذي سطرها … من دم سال ومن دمع مدادا
كم طوينا قبل ان نطويها … سنوات مكفهرات شدادا
يا فلسطين .. وهذي صفحة … بدءها كهان وناما واتحادا
فتحتها ذروة العرب التي … هرعت يوم دعا الداخي ونادى

ويقول في قصيدة اخرى لا تقل عن سابقتها أثرا وتأثيرا :

ايه فلسطين .. يا جرحا بعزتنا … ولا ضماد بغير الحقد والغضب
متى ترف بك الرايات خافقة … ويمحق الجد عار الهود واللعب

ثم اسمعه يقول .. وما اصدقه .. فالنبرة شجية .. والهم كاسح :

وهبوا قدسك للقوم الالى … ضربوا في التيه اجيالا وهاموا
شردوا منك الوفا لم يعد … لهمو الا الصحارى والخيام
ان يكن فيك كفاء فادفعن … عنك من ساموك خسفا واستضاموا
ان يكن فيك اباء فانبذن … من اقاموهم على الامر فقاموا


عباس محمود العقاد

عباس محمود العقاد المفكر العربي

بقلم عبد القادر حلمي طوى

* * *

يقول ارسطو « ان السعادة في العمل وان احسن حياة هي حياة الفكر » ذلك ان الفكر في رأيه هو الدليل على ما انفرد به الانسان من تفوق وامتياز وان « العمل بالانسان هو ان تعمل نفسه بالاتفاق مع عقله » .

وهكذا كانت حياة العقاد قدرة وقدوة ، جهدا وجهادا ، عمقا للفكر وللحياة . وقد امتد نشاطه الذهني الى ميادين واسعة فكانت النتيجة ان عمقت نتائج بحوثه ادراكنا للحياة .

ولد العقاد في اول يوليه ١٨٨٩ بمدينة اسوان وكان الولد الثاني لخمسة من الاشقاء منهم ابنة واحدة وثلاثة من غير الاشقاء للسيد محمود ابراهيم مصطفى العقاد . وهناك نشأ وتعلم وتخرج من المدرسة الابتدائية عام ١٩٠٣ واشتغل مدرسا في احدى المدارس الخيرية الاسلامية ، وفي عام ١٩٠٧ عمل محررا في صحيفة الدستور ...

وكانت سماء مصر وقتذاك مرتعا في مطلع هذا القرن امتدادا لقرن آخر قد سبقه للفكرة العثمانية الاسلامية وللفكرة الفرعونية وللفكرة المتوسطية . ولم تكن نفس العقاد تميل الى الفكرة الاولى ولذلك سكت عن رثاء مصطفى كامل رأس الدعاة الى العثمانية ، بينما رثى محمد فريد لانه ادرك ان الفكرة الوطنية المصرية عند فريد اعمق واغزر منها عند مصطفى كامل ...

وفي عام ١٩١١ كان اللقاء بين العقاد والمازني وشكري ... وفي عام ١٩١٢ توظف العقاد في أمانة سر المجلس الاعلى بديوان الاوقاف ثم ترك تلك الوظيفة الى العمل كمحرر بجريدة الاهالي بالاسكندرية ، ويتم الاتصال بالوفد المصري ويظل العقاد وفديا حتى عام ١٩٣٥ ... وقبلها بخمس سنوات يدبر القصر الملكي مؤامرة له ليدخل السجن مدة تسعة اشهر كما لا يتوانى عن تدبير حملات هجومية ضده بأقلام المغرضين ...

وقد نحت العقاد طريقه وحده دون عكازة او معونة احد ، وانما تسلح بكفاح كرامة وسمو ارادة وعقيدة عميقة الاسم والاثر في دنيا الفكر والناس ... وقد شاد مثل هذا الصرح الرائع من التفكير معتمدا على بصيرة نافذة وعلى « جنوحه الى الفلسفة والتأمل واعتصامه بالمنطق الذي يفيد في الجدل والمناظرة » .

يقول العقاد : « الفلسفة تعلمنا ان العدم معدوم ، فالموجود موجود . موجود بلا اول ولا آخر لانك لا تستطيع ان تقول : كان العدم قبله او يكون العدم بعده . وموجود بلا نقص . لان النقص يعتري الوجود من جانب عدم ولا عدم هناك . موجود بلا بداية ولا نهاية ولا نقص ولا قصور . والوجود الكامل الامثل هو الله » .

ويتصدى العقاد للتيار الالحادي ويبث الثقة في النفوس بالتوحيد والايمان حيث « ... ان مسألة وجود الله مسألة « وعي » قبل كل شيء . فالانسان له «وعي» يقيني بوجوده الخاص وحقيقته الذاتية ولا يخلو من « وعي » يقيني بالوجود الاعظم والحقيقة الكونية ، لانه متصل بهذا الوجود بل قائم عليه . والوعي والعقل لا يتناقضان وان كان الوعي اعم من العقل في ادراكه لانه مستمد من كيان الانسان كله ومن ظاهره وباطنه وما يعيه هو وما لا يعيه ولكنه يقوم به قياما مجملا . ونحن نخطىء فهم العقل نفسه حين نفهم انه مقصور على ملكة التحليل والتجزئة والتفتيت وانه لا يعمل عمله الشامل الا على طريقة التقسيم المنطقي وتركيب القضايا من المقدمات والنتائج واثباتها بالبراهين على النحو المعروف ... » .

ويعتز العقاد « بالفرد » ايما اعتزاز ويوقف قلمه وفكره للدفاع عنه ولتثبيت كيانه امام طغيان الجماعات وامام الظروف الاقتصادية الساحقة والاحوال المادية :

« وليس الفرد لغوا الى جانب المجتمع او الاحوال الاقتصادية ولكنه شيء والمجتمع شيء والاحوال الاقتصادية شيء . وليس من الضروري اللازم لادراك حقيقة من الحقائق الاجتماعية والفلسفية ان تلغي شيئا من هذه الاشياء وتغليب الشؤون الاقتصادية او تغليب الدوافع المادية على دوافع الحياة في الافراد هو في الواقع « قدرية » جديدة يلجأ اليها العاجزون في زماننا هربا من

التبعة كما لجأ العاجزون فيما مضى الى قدرية القرون الوسطى . كان العاجزون فيما مضى يقولون: ماذا نصنع؟ وما الحيلة ؟ هذا قدر مكتوب لا حيلة فيه ! فأصبح العاجزون في زماننا يقولون: ماذا نصنع؟ وما الحيلة؟ هذه ضرورات الاقتصاد التي تسيطر على ارادة الافراد » (١).

ونتيجة لذلك يرى العقاد « ان الاصلاح الذي يلغي حرية الفرد فساد شر من كل فساد » و « مقاييس التقدم كثيرة يقع فيها الاختلاف والاختلال : فاذا قسنا التقدم بالسعادة فقد تتاح السعادة للحقير ويحرمها العظيم واذا قسناه بالغنى فقد يغنى الجاهل ويفتقر العالم . واذا قسناه بالعلم فقد تعلم الامم المضمحلة الشائخة وتجهل الامم الوثيقة الفتية . الا مقياسا واحدا لا يقع فيه الاختلاف والاختلال وهو مقياس المسؤولية واحتمال التبعة ... »

ومنبع الاهمية في موقف العقاد في جانب الفرد انما يرجع الى رغبته في حماية المجتمع ذاته ، وذلك للحيلولة دون احتكار السياسة ، فالحرية الفردية هي ضمان التربية السياسية والاجتماعية لدى الافراد من اجل خدمة المجتمع السليم ولتوفير وسائل التثقيف والتعود على تحمل المسؤوليات والحرية بعد ذلك عبء ومراس لمباشرة التعاون مع المجتمع الذي يعيش فيه الفرد (٢)..

وقد شنها العقاد حربا لاهبة على كل المذاهب الجماعية والشمولية التي تهدم « الانسان الفرد » او تطحنه في ساقية الجماعة مهما كانت تلك المذاهب والمبادىء مغلفة بالمثالية او المادية او غيرهما ، ولذلك كان العقاد عدوا للاضداد مفندا لحججها كاشفا لاساليبها : حارب الشيوعية والرأسمالية والصهيونية والامبريالية والدكتاتورية ، وكانت الهجمات قاسية ومتبادلة خرج العقاد منها باوفى نصيب وباكرم جزاء ...

قاوم العقاد بكل عنف رياح الدعوة العامية التي

الشيوعية والرأسمالية والصهيونية والامبريالية والدكتاتورية ، وكانت الهجمات قاسية ومتبادلة خرج العقاد منها باوفى نصيب وباكرم جزاء ...

قاوم العقاد بكل عنف رياح الدعوة العامية التي

ان العرب المسلمين قاموا بثلاثة فتوحات في آن واحد هي : الفتح البلداني والفتح الديني والفتح اللساني ومن غير شك فقد استغرق الفتح الاخير مدة اطول وجهدا أعمق ...

ولقد كانت ذخيرة العقاد من مفردات اللغة العربية وتراكيبها خير عون له في توضيح اصالتها ودقة ابنائها في استخدام كل لفظ ومعنى فمثلا اللغة العربية « تمتاز على سائر اللغات بكلمات ثلاث يمكن ان تستخدم لمعاني السنة المختلفة وهي السنة الفلكية ، والسنة من الموعد الى الموعد ، والسنة التي تتم بها الفصول على اختلاف ترتيب الشهور » « وقد وجدت في اللغة العربية كلمات لكل لحظة من لحظات النهار والليل » و « قد احتوت اللغة العربية كل جذور الالفاظ التي يقال انها الاصل في تسمية آدم وحواء . فشراح العهد القديم يرجعون باسم (آدم) الى كلمة (دم) بمعنى الاحمر او كلمة (ادمو) الاكادية بمعنى المجبول او المصنوع . واللغة العربية فيها مادة الادمة بمعنى اللون الاسمر الى احمرار ومادةالادمة بمعنى القرابة ، ومادة الادمة بمعنى المواءمة بمعنى التوفيق بين زوج وزوج لان آدم زوج لحواء . اما اسم (حواء) فقد جاء في الاصحاح الثالث من سفر التكوين في العهد القديم انه مأخوذ من الحياة (ودعا آدم اسم امرأته حواء لانها ام كل حي). ومادة الحياة موجودة في اللغة العربية ، كما توجد فيها مادة (الحوة) بمعنىاللون الذي يشبه لون آدم ، ومنه قوله تعالى : « ... والذي اخرج المرعى فجعله غثاء أحوى » (٤)

ويتجه فكر العقاد في بساطة وعمق واقتدار الى تعميق رسالة الادب فينفوسنا(٥) «الادب تعبير. والتعبير تلحظ فيه البواعث قبل ان تلحظ فيه الغايات ... والرجل بعد التعبير غيره قبل التعبير ، ومن استطاع ان يعبر استطاع ان يفهم نفسه ويفهم ما يريد واستطاع

تعميق رسالة الادب فينفوسنا(٥) «الادب تعبير. والتعبير تلحظ فيه البواعث قبل ان تلحظ فيه الغايات ... والرجل بعد التعبير غيره قبل التعبير ، ومن استطاع ان يعبر استطاع ان يفهم نفسه ويفهم ما يريد واستطاع

النغم الخامس والستون

من ديوان « رسوم النغم المفكر » تحت الطبع

لبنان أنت مواسم الالوان — وحكاية الازهار للغدران
الصخر فيك متاحف مبثوثة — كمقاعد فرشت على الشطآن
يتفيأ التاريخ تحت ظلالها — كتفيوءي في ظلك النشوان
من ها هنا .... اذا ما اوغلت — نشواتها بدمي شدت أحزاني
وعيون من تهفو لهن نوازعي — زرقاء بالعطش الشهي روانى
بيض الوجوه كانهن مخابىء — للعطر والبسمات والالحان
حركاتهن طلاقة ما أوقفت — أشواطها الاغلال في الانسان
سامرت منهن النجوم على ربى — والفجر مرسوما على أبدان
ثغر الى ثغر يتوق وآهة — في آهة وبدان ثم يدان
مارست ألوان الجمال فلم أجد — لونا كلون بنفسج بينان
يومي الي مع المساء كانه — بقيا نهار هائم حيران
من شاهد الوديان في اشراقها — بل من رأى الاشراق في وديان
خضر يضرجها اخضرار راعف — فكأنها كون من الاكوان
كادت بها الالوان تنطق بعضها — فلهن همس حكاية ومعان
ولهن شبه تلفت وتانق — حتى كأن بيانهن بياني

لبنان جئتك من نواحي بسمة — شعت على الشطآن والكثبان
لولا ثلوجك ما عرفت لهيبها — والثلج بعض مواسم النيران
ما ابعدتك المبعدات فكلنا — أبناء سائر هذه الاوطان
من هذه الارض التي لما تزل — عذراء رغم تلاحق الحدثان
من هذه القمم المنيفة فكرنا — ودماؤنا من عارم الطوفان
ولئن تناهبنا الزمان فاننا — للآن فوق مذاهب الازمان
والارض مذ كانت مسارح فكرة — شرقية النزعات والبنيان

الكويت — محمد الفايز

منه وهي شيء موجود لا خلاف في وجوده وهي مصدر التعبير والتعبير دليل الحياة ».

واننا نلاحظ على فكر العقاد ان سنوات عمره بما تحتويه من زاد وتحصيل لا تشكل فواصل او تصحيحا لمسار آراء سابقة وفي ذلك اكبر دليل على عبقرية العقاد وان عظمة فكره نتيجة الجهد الموصول وترى آراءه خلال عمره مطردة السياق متتابعة الفصول من تمهيد الى مقدمة الى نتيجة بعد التعليل والتحليل معتمدا في ذلك كله على المنهج النفسي والمنهج العلمي والمنهج النفساني. وقد تسلح العقاد حين خاض ذلك العباب بارادة لا تلين وفكر صارم ومنطق رصين وتحد جبار للاستبداد واليأس والجهل وايمان عميق بالحق والكرامة والحرية والجمال .

وكأنما يحيا العقاد بيننا اليوم جسدا وفكرا حين يشير الينا انه « لا فائدة من تعظيم خطر الصهيونية والارتفاع به الى ما وراء طاقة الجهود البشرية ولكن لا فائدة كذلك من تهويد هذا الخطر اذا لم يقترن تهوينه بالشروع في العمل المفيد ». و «انما نحن آمنون اذا واجهنا الغد المجهول بعدته وانما نحن مستعدون بخير ما نستطيع اذا خرجنا من الماضي الطويل بعبرته الوافية. وعبرته الوافية ان العقائد اثبت من السياسات . وان الامم اثبت من الدول وان الجاهل اعدى لامته من أعدى أعدائها . وما نكب الاسلام قط من حرب صليبية او من حزب استعمارية كما نكب من ابنائه الجهلاء ...»

الفيوم — دار المعلمات — عبدالقادر حلمي طوى

مسرح التمثيل

★

أأقضي حياتي في الوجود أمثل ... لتلك التي استاء منها وأخجل
أكاشف قلبي بالذي أنا صانع ... فتصفر نفسي عند نفسي وتضؤل
أألقى غريمي بابتسام ملاطف ... وفي مهجتي مما أكاتم مرجل
أأعبس في وجه الصديق مغاضبا ... وقلبي لمرآه يهش ويجذل
يلوح الضحى طلقا فأزعم انه ... لبعض الهوى ليل على الكون أليل
وآكل أشهى ما أحب من الجنى ... فان سالوني قلت صاب وحنظل
أينأى شعوري عن حقيقة واقعي ... فكل الذي آتيه زيف مضلل
أأبغي رضا الاقوام بالغش مذعنا ... للقمة عيش تزدرى حين تؤكل
أعظم من لا يستحق وقد غدا ... بمنصبه المرموق يولي ويعزل
وأهمل ذا الفضل المبين لانه ... على فضله صفر من الجاه مرمل
وأرقب ما آتى فتصرخ مهجتي ... وان يك وجهي وحده يتهلل
أميس انتشاء حين تنعب بومة ... كأن الذي هز المشاعر بلبل
وأكتب تقريظا لها متوقحا ... أبين فيه سحرها واحلل
ومن عجب يتلوه قومي كأنه ... لتصديقهم اياه وحي منزل
أسائل عقلي أين نفسي فانني ... أعيش بلا نفس ، وذلك مذهل
نأى الصدقعن عيني رواحا ومغتدى ... ولو جئته يوما لأسرع يجفل
وراعيت أهواء الانام فلم أزل ... أتابعها فيما أقول وافعل
وفيها الذي يؤذي الكمال اقترافه ... ولكنه للجاه نهج مذلل
يسير عليه اكثر الناس قبلنا ... وما عندهم عن وجهه متحول
ويا ربما قد دافعوا عن فساده ... وليس لهم غير اللجاج معول
قد اعتقدوه من صميم شعورهم ... وساروا اليه مهطعين فهرولوا
ولكنني بيني وبين مشاعري ... أضيق به ذرعا ، فما أتقبل
فيا مسرح التمثيل أيان تنقضي ... وتتركني حرا فخطبك معضل
وأعنف ما يهتاجني ان صبوتي ... أزيفها تزييف من يتنصل
أكاتم حبي وهو حق عواطفي ... فيقتلني الكتمان أو كاد يقتل
أكاتم حبي حين أظهر غيره ... وأرهق أعصابي فما تتحمل
أأعشق هندا ثم أذكر زينبا ... وأرسل اشعاري بها أتغزل
أمالي حق ان اجاهر بالهوى ... فسري ما بين الحشا متغلغل
وزهدني في الصدق بؤس رجاله ... فاكثرهم نابي المقام مقلقل
اذا قدروا من فاضل متحرر ... فآلاف آلاف تلوم وتعذل
واني على ما كان من سوء موقفي ... أقدرهم دون الورى وأبجل
أهيم بهم جهدي وأهوى نضالهم ... وأبغي بهم بعض اللحاق فأنكل

الرياض ـ كلية اللغة العربية

محمد رجب البيومي



بقلم اسماعيل علي اسماعيل

شمس الخريف الغاربة ، تلف بدفئها الفاتر ، **الاجساد المكومة** فوق مصطبة الدوار ، مهمومة **مجهدة** .. تفرش صفرتها المحمرة ، **فوق شفاههم المرتعشة** بالصمت ، المتلهفة الى الكلام .. تفضح الموج **المتعب ، المتدفق** من عيونهم اللاهية بالشرود ..

واذا تبدأ امواج المساء تجتاح مشارف الافق ، وتنشر عتمتها على **امتداده،** يرتفع صوت يذب الصمت من فوق الرؤوس :

ــ كانت ليلة سوداء ..

يتبعه صوت آخر :

ــ وامتد سوادها الى ما اعقبها من ليالي ..

في ذات اللحظة ، يظهر عند **ناحية الدوار ،** غريب يدثر بعباءة سوداء ، ويلف راسه وجانبي وجهه بكوفية صوف رمادية .. يقترب من الجالسين .. يصافح العمدة .. يحيي الآخرين بايماءات سريعة .. يفسح العمدة له مكانا بجانبه .. يتفحصه بعينيه .. يجلس متربعا **.. لا يأبه للعيون التي ترمقه ..** يتوجه الى العمدة قائلا :

ــ لم يتضح شيء بعد ؟..

يرد العمدة وهو ما يزال يتفحصه بعينيه :

ــ لا ..

ــ اذن .. لم يبق غير ان ينهض القتيل .. يعرفكم بنفسه .. ويدلكم على قاتله ..

ــ صدقت ..

ــ ما يثير الدهشة ان حادثة واحدة كشفت عن احداث كثيرة ..

ــ هذا ما يحيرنا ..

يعلق واحد وهو يعبث بعصاه **التقطها من تحت قدميه المدلتين من فوق المصطبة :**

ــ لم نتصور ان كل هذا سيكتشف دفعة واحدة ..

يقول الغريب :

ــ تحت الرماد جمر كثير ..

يمصمص ماسك العصاة شفتيه ويطرق برأسه .. ينزل الخفير البندقية من فوق فخذيه ويضعها فوق الحصيرة ، بينه وبين الغريب الجالس قبالته .. يدوم الصمت **لحظة .. يقول الغريب :**

ــ لكن صحيح لا أحد منكم يعرف القتيل ؟..

يسارع العمدة محتدا :

ــ لو كان اي واحد منا يعرف عنه شيئا لقاله للنيابة ..

ينبح كلب عند طرف من اطراف البلدة .. يجاوبه نباح كلب آخر.. **تمر امرأة** .. تنظر الى الناحية الاخرى وهي تداري وجهها بذيل **طرحتها ..**

يواصل الغريب كلامه :

ــ الامر يا عمدة غريب للغاية .. والمفروض عليكم الا تتركوه دون تقصي ..

العمدة بضيق :

ــ النيابة قيدت الحادث ضد مجهول ..

ــ انتم تستطيعون تحقيق ما لم تحققه النيابة ..

ــ كيف ؟..

بنرفزة :

يستمر الغريب بنبرة هادئة :

ــ لا تنس ان الطبيب الشرعي قرر ان القتيل اما انه احرق نفسه .. او ان آخر اشعل النار في كومة الحطب التي كان يندس فيها للنوم.

يسأل الجالس عند آخر **المصطبة :**

ــ ولماذا احرق نفسه ؟..

يجيب الغريب وهو يلتفت ناحيته نصف التفاتة :

ــ **هذا ما ينبغي ان تبحثوا** عنه ..

ينظر العمدة الى الخفير .. **يقول :**

ــ قم هات الفانوس ..

يهم الخفير بالقيام .. يمد الغريب ذراعه .. يضغط براحته ركبة الخفير ويقول :

ــ لا داعي ..

يبقى الخفير قاعدا .. يرمي **العمدة الغريب بنظرة مستغربة ولا** يقول شيئا .. تخرج من باب الدوار صبية .. تمد يدها بصينية فوقها اكواب شاي صغيرة .. يتناولها الخفير .. يدور بها وهو في مكانه على الجالسين .. يعلو صوت الرشفات .. يقطع الغريب السكوت :

ــ **هل تعرفون من أول رجل** صرخ منبها الى وجود الحريق في كوم الحطب ؟..

تتلاقى العيون في صمت .. تنفلت عينا العمدة من عناق الصمت .. تتوهان في فراغ غير الفراغ **المحيط ..** تعودان لتستقرا فوق وجه الغريب الذي لا يبين .. يخرج صوت العمدة غائما خفيضا :

ــ النيابة سألت عن **ذلك ..**

ــ وقلتم .. رأيتم النار في لحظة واحدة .. هكذا .. صدفة ..

ــ هذا ما حدث ..

ــ لكن البلدة كانت كلها نائمة حين دوت الصرخة ..

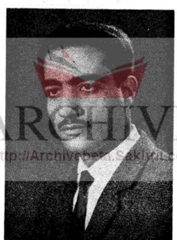
يحملق العمدة في وجه الغريب.. يحاكيه الآخرون .. يستمر الغريب :

ــ طيب .. ومن قال لحظة اكتشفتم الجثة داخل النار انها



لا بد جثة حنفي .. بالذات ؟..
العمدة ببلاهة :
ــ صحيح .. من قال هذا يا أولاد ؟..
يزوم المتحلقون فوق المصطبة .. ينطق الخفير :
ــ لا بد واحد منا .. فلم نهتم ساعتها لنعرف من يكون ؟.. ما كنا نسمع اسم حنفي حتى جرينا الى بيته ..
ــ واكتشفتم انه لا يبيت في البيت ..
ــ نعم ..
ــ ثم تبين انه في السناجرة عند زوجته الثانية ..
يعلق العمدة :
ــ مصيبة .. زيجة لم يعلم بها احد ..
يضحك الغريب ويغمغم :
ــ تحت الرماد جمر كثير ..
يحوم الصمت فوق الرؤوس .. تمتد الايدي لتعيد الى الصينية اكواب الشاي الفارغة .. يتكلم الخفير :
ــ لو نعرف من الذي قال لضابط المباحث ان الصعيدي الذي كان ينزل بدار عطية الجعبي هو القتيل ؟..
يقول العمدة :
ــ ضابط المباحث قال ان شخصا فاجأ المخبر في الظلام .. وهمس له بأن القتيل هو ذلك الصعيدي .. وافلت من المخبر قبل ان يمسك به .
يتدخل الغريب :
ــ وتبين ان الصعيدي عاد الى بلدته وما زال حيا ..
العمدة :
ــ بعد عذاب ..
الغريب :
ــ وكشف هذا عن فضيحة اخرى ..
والعمدة ينفخ بغيظ :
ــ نعيش في البلدة ولا نعرف ما يدور بها ..

يضحك الغريب :
ــ عشق فتحية لآخر غير زوجها كان لا بد ان تتكتمه ليعيش طويلا .. وبالطبع لا يمكن ان يعرفه غير غيور عليها يرصد خطاها .. او آخر يريدها لنفسه .. وابن عمها كان يهمه ان يبقى هذا العشق تحت ستر حتى اذا ما صرع العاشق لا تحوم حوله الشبهات ..
ــ البلدة ليست كبيرة لتختفي بها كل هذه الفضائح ..
ــ المسألة انكم لا تدققون في شيء لتكتشفوا خباياه ..
يتدفق من شباك فوق المصطبة ضوء ضعيف .. يصدر عن فانوس



اسماعيل علي اسماعيل

★

علق لتوه داخل الغرفة المفتوح بها الشباك . يصنع الضوء مستطيلا فوق الحائط المقابل .. تقطعه طولا وعرضا ظلال حديد الشباك .. يسقط بعض الضوء فوق رؤوس الجالسين .. يرجع الغريب بظهره ليلصقه بالحائط الذي يستند اليه .. يبقى وجهه في الحيز المظلم .. يجيء صوت الجالس عند حافة

المصطبة من ناحية الشارع :
ــ وكيف عرف ضابط المباحث بحكاية بنت منصور ؟..
يشرح العمدة :
ــ فاجأ المخبر بالليل شخص لم يتبين ملامحه ولم يتمكن منه ..
الخفير مقاطعا :
ــ يعني ربما يكون نفس الشخص السابق ..
يسترسل العمدة :
ــ المهم .. قال له انه يرجح ان القتيل هو ملاحظ العمال الذين كانوا يعملون بمشروع الصرف .. اذ انه اوقع بنت منصور في غرامه وهرب بها . ولا بد أهلها عثروا عليه وجاؤا به واحرقوه ..
يقول الغريب :
ــ وحتى هذا تبين انه ما زال حيا .. وانه والبنت التي فر بها يعيشان معا في المحلة وزارها أبوها اكثر من مرة ..
الخفير :
ــ وكان يقول انه ذاهب لزيارتها في الاسكندرية .. عند زوج عمتها الذي تقوم بخدمته ..
العمدة :
ــ اذن .. كل ما قاله الشخص الذي كان يفاجيء المخبر في الظلام مجرد تخمين ..
الغريب :
ــ اظنه كان يهدف الى اثارة اشياء اخرى ..
ــ تقصد كشف هذه الفضائح ..
ــ ربما ..
ــ ولم ؟..
ــ لو عرفتم من يكون فسوف تعرفون قصده ..
شارك في الحديث الجالس الى يمين الغريب :
ــ لا بد انه واحد من البلدة يعرف كل أسرارها ..
يترامى عواء ذئب .. يعلو نباح الكلاب في انحاء متفرقة من البلدة .. يستمر برهة .. يعود السكون يبتلع كل صوت ..

حبيبتي

حبيبتي أراك في القمر
أغنية تطل في خفر
فتبعث الحياة والامل
في خافق عذبه الحنين
والشوق والالم

عشرون يوما كلها دموع
والداء في ليل الضنى يروع
والموت قد ران على المقل
يطوي هوى الحياة والسنين
ويبعث الالـم

عشرون يوما عصر العذاب
قلبي بها وآدني اغتراب
يا ليتني وقد دنا الاجل
أغفو على ذراعك الحنون
واقتل الالـم

يا خالق الوجود من عدم
يا باعث الحياة في الرمم
رحماك فالداء الذي نزل
فخفف الالـم
لم يبق غير الشوق والانين

هل يا ترى أعود للعراق
وترتوي الاحلام والاشواق
وتزهر الحياة والامل
في خافق معذب حزين
ويسكت الالـم

حبيبتي ان يقطع الردى
ما بيننا ويبعد المدى
ففي حماك زهرتا أمل
تعطران حبك الدفين
فيسكت الالـم

جامعة الكويت **احمد مطلوب**

يفاجىء الغريب المتجمعين فـوق المصطبة :

ـ هل تذكرون شافعي ؟..

تحتقن الوجـوه .. تتلاقـى .. يضغط الصمت الانفاس .. يكمـم الافواه ..

يواصل الغريب كلامه :

ـ طردتموه من البلدة لان الشيخ ابراهيم اتهمه بالاعتداء على ابنته..

يسكت لحظة ثم يقرر :

ـ كلكم تذكرونه ..

يتنهد واحـد ويقـول بصوت خفيض :

ـ والله ظلمناه ..

يوجه الغريب حديثه الى العمدة:

ـ سمعت يا عمدة انـك قابلت شافعي ليلة الحادث عند المصرف..

رجاك ان يرجع الـى البلـدة فنهرته .. وامرته بأن يظل بعيـدا والا تعرض للقتل ..

تتجه الوجوه لتحاصر العمدة .. يتبلد العمدة ..

يتساءل الغريب :

ـ لماذا لا يكون هو القتيل ؟..

تنطلق اصوات مستغربة :

ـ هو ؟..

ـ شافعي ؟..

الغريب بنبرة قاطعة :

ـ وهو الذي اثار ما تـلا مـن احداث ..

اصوات تشوبها رعشة خوف :

ـ القتيل ؟..

الغريب مؤكدا بصوت عميق :

ـ القتيل ..

تختنق الكلمات فوق الشفاه .. ينتفض العمدة واقفـا .. ينسحب داخلا الى الدوار .. يقوم الآخرون .. يلحق الخفير بالعمدة .. يبقـى الغريب وحده جالسا .. يتحـرك واقفا بتثاقل .. يختلس الخفـير النظر اليه من باب الدوار الموارب .. يلمح العباءة تسقط مـن فوق كتفيه وهو ينزل من فـوق المصطبة .. يهم بتنبيهه .. يغلـق فمه .. تسقط الكوفية الصوف من فـوق رأس الغريب .. يعجب الخفير اذ لا يهتم الغريب بما يسقط عنـه .. يتجه الغريب ناحية الغيطان بقامته المفرودة وخطوه الوئيد .. يبـدو للحظة عاريا .. ثم يواريه الظلام .

القاهرة اسماعيل علي اسماعيل

مشهد من مسرحية مصرع غرناطة

الوزير يوسف كماشة ، موسى بن ابي غسان ، زينب ابنة الوزير .

يوسف :

ما كنت تأمل عندي ... على قراع الزمان
وليس لي في قراع ... مع العدو يدان
شيخ أكاد لعجز ... تهوي بهي القدمان
ولست أرجى لكر ... ولا لحمل سنان

موسى :

انا ما دعوتك للمسير ... الى نزال أو طعان
اني دعوتك كي تكون ... لسان صدق عن لساني
لتزيح عن عين المليك ... سراب غاشية الاماني

يوسف بالم :

ما كنت تامل من مليك ... ليس في يده خيار
أشياعه لا يرتجى ... منهم على الجلى انتصار
ورجاله كالهيم أشتات ... بكل يد ، تدار
وعدونا الموت الزؤام ... وأين من موت فرار
هيهات لم يهن المليك ... وانما الموت اضطرار

موسى :

عماه لو صدق اليقين ... لما استبيح لنا ديار
عماه خذ بيد المليك ... وكان مثلك يستشار
وكن المنار اذا دجا ... ليل واعوزه المنار
وابعث به روح الرجاء ... لعل خافقه يثار

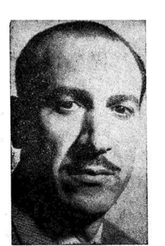
يقف قليلا ثم يتابع :

دعا المليك اليه ... أشياعه والرجالا
يريد اقرار سلم ... ولا يريد قتالا
ظن السلام نجاة ... والسلم كان وبالا
كن لي المعين فاني ... ساحطم الاغلالا
ولن اقر سلاما ... يجر داء عضالا

زينب الى ابيها :

أبتاه ليس مع الاذى ... خير وعيش الذل علقم
ان لم يكن من مورد ... الا الردى فالصبر احزم
ما كل عيش يشتهى ... او فيه للعافين مغنم
سر للمليك وقل له ... بلسان صدق غير ملجم
ان البلاد أمانة ... كالعرض بل اغلى واكرم

دمشق ... عدنان مردم بك



سعد صائب

حوار مع قاص ناشيء

بقلم سعد صائب

***

كان في مستهل نشأته الادبية ، يجاهد نفسه ان يخرج من سلك اترابه في كتابة القصة ... وكلما انجز قصة جيدة، خالها بعين نفسه الغاية القصوى في الجودة ، ورآها قراؤه مملة ، فاتها الحظ من القيمة الفنية ، واخطأها التوفيق فيما تقتضيه كتابة القصة الجيدة .. مما دعاهم للصدوف عنها ، وعدم التعاطف معها ، والاهتزاز لها ... واذ آلمته هذه الجفوة من قرائه . واعياه امرها، فاتحني الرأي ، فلم ار بدا من ان اطرح عليه هذا السؤال : نبئني بنهجك في كتابة قصصك ؟

قال : لشد ما ينتابني قلق روحي حيال الواقع الذي احياه ، فيدفعني ــ بفعل منبهات نفسية معينة ــ الى الافتتان بتسجيل اوهام تستهويني ، اخالها تهدىء من قلقي ، وتساعدني على تحمله والرضا به .. وبالتالي تستثير في صورا للتعبير ، أجنح فيها الى الافصاح عما ينتابني من هذه الاحاسيس والمنبهات ، وابراز عالمي العاطفي ، ورؤياي التي تعكس ما يبدو لي من هذا الواقع ... من هنا ترى انني اكتب قصصي ، لا بقلبي فحسب، بل وبدمي كذلك ..

قلت : كأني افهم من كلامك انك « رومانسي » حالم ، لا هدف لك ترنو الى بلوغه ، لارتكائك في كتابتك على عاطفتك وحدها ، وتنكبك عن تركيز ذهنك على ما يدور في واقعك ، واعراضك عن نقل خبرتك له ، ومعرفتك به ، وتسديد نظرك اليه ، وتحديد موقفك منه ، ويبدو ان ذلك متأت من اعتزالك الناس ، ونأيك عنهم ، ونفورك مما يعانونه ، او يضطربون فيه ، وعدم تجاوبك معه ...

كما افهم كذلك انك لا تعنى بفكرة تدور حولها قصتك ، وتبلور رؤيتك ، فانت والحال هذه ، تحلم بالواقع قبل ان تتأمله وتحياه ، وتعجز عن ان تحياه أولا ثم تحلم به ، مما ابعدك عن التوفيق بين حلمك وواقعك، وافضى بك الى الفصل بينهما ...

فان كان فهمي صوابا ، فدعني اقل لك ان ذلك ليس من الجودة في كتابة القصة ، ولا من البراعة في احكامها ، ولا من القدرة على معاناة التعبير ، عن دلالة ومعنى ما تلحظه ، ونقل هذه المعانات الى قارئك . كما يعني كذلك ، انك لا تبتغي شيئا مما تكتب ، بل لا تأمل شيئا .

وبدهي ان « من لا يريد شيئا ، ولا يأمل شيئا ، ولا يخاف شيئا ، لا يمكن ان يكون فنانا » كما يقول تشيخوف .

قال وقد استفزته كلماتي : ما المقصود من كلمة « حالم » التي ذكرتها في عرض حديثك ؟ وهل للحلم ضروب تهجس لكاتب دون آخر ، وانواع تواتي اديبا ولا تعتري سواه ؟

قلت : لقد ذكر الدارسون نوعين من الحلم وفرقوا بينهما « النوع الاول هو الحلم المبني على الهروب من الواقع الحي ، بحيث يكون الحلم تنفيسا عما يختزنه الانسان في حياته اليومية من مشاكل ومشاعر مختلفة .. والحلم هنا نوع من الفرار ، وهو في النهاية ضعف وعجز عن مواجهة الواقع .. ان الانسان الهارب على هذه الصورة ، هو الانسان الهش الرومانسي ، العاجز عن مواجهة اعباء الحياة وتجاربها الصعبة .. وفي العادة يكون هذا النوع من الاحلام قاتما معتما . ويكون الفن الذي يعبر عن مثل هذه الاحلام قاتما معتما كذلك ...

اما النوع الثاني من الاحلام ، فهو الحلم الذي يقوم على فيض من المشاعر الحية الكبيرة ، التي تملأ وجدان الانسان وتسيطر عليه سيطرة كاملة .. ان هذه المشاعر تفيض لشدة غناها وحيويتها عن يقظة الانسان فتملأ احلامه ، وهذا النوع من الاحلام هو الهام وحيوية وقوة، وهو تعبير عن اندماج كبير في الواقع ، ودليل على الامتزاج بين وعي الانسان وعقله الباطن معا » (1) ... وانت تنزع ــ كما بان لي ــ الى النوع الاول ، وكم أود لو تتحاماه !..

قال وقد استشف ما اعنيه : الا يكفي تسجيل

انفعالي الصادق بما اراه عوضا مما ذكرت ؟

قلت : المعذرة لك ... لئن توهمت ذلك ، لقد خطئت في وهمك ، لان فن كتابة القصة ليس انفعالا فحسب ، انه معرفة كذلك « معرفة عميقة بالاشياء ... معرفة تستند الى العلم ونتائجه ... وبتطور بتطور الحياة الاجتماعية .. والتعبير الفني ، تعبير ذاتي ، ولكنه في الوقت نفسه تعبير اجتماعي ، شارك المجتمع في وضع ما فيه من اشكال .. وصياغات وصناعة .. انه تعبير تاريخي عميق الجذور ، بكل ما في المجتمع البشري من اضافات علمية وفكرية » (٢) ...

قال وقد كبر عليه الخطب : ولكنه نمط اسيغه ، تحلو لي الكتابة فيه ، وما نزعت اليه الا لانه يوائم طبعي، ويلائم مزاجي ، ويتسق ونهجي في الحياة ، وانا في مقتبل عمري .

وكان بقدري انه يوائم طبع قرائي ، ويلائم مزاجهم فيهتزون له !..

قلت : لقد عزب عنك ، انك اذ تعمد للتعبير عن واقعك ، تجنح الى تصوير ما تختاره من تجربتك الخاصة في الحياة لما تراه بعين عاطفتك من وقائع محددة فحسب ، لا ما تختاره من تجربتك العامة في الحياة كما تراه بين عقلك كذلك .. وبدهي ان ليس في ميسور عاطفتك وحدها التعبير عن الواقع ، ولا في طوقها تبيان تجربتك له ، ولا في مقدورها تحديد موقفك منه .. كما انها عاجزة أشد العجز عن ايضاح فهمك لهذا الواقع ، واعطاء فكرة عنه .. لذا كان اعتمادك عليها وحدها دليلا على ان قصصك توشك ان تغدو تجربة ذاتية خاصة لما تعانيه أنت ، لا تجربة انسانية عامة لما يعانيه مجتمعك !.

فاذا اعتبرنا ان القصة كالقصيدة يجب ان يجري عليها ما يجري على القصيدة من «الهروب من الشخصية، والانفلات من الذات » لذا اضحى لزاما عليك ان تخرج عند كتابتها من أفق ذاتك الضيق لتدخل في افق مجتمعك الرحب . لا سيما وانه « لم يعد مقبولا ان ينفصل الفنان عما يدور حوله من مشاكل ، وعما يتردد من اسئلة في حياة الناس ونفوسهم » . ولا اكتمك ان عمل الفنان المتمكن الاصيل « هو ان يرينا انفسنا كما هي في الحقيقة . فأذهاننا ليست شيئا غير هذه المعرفة بانفسنا ، ومن يزد قليلا على هذه المعرفة يخلق ذهنا جديدا ، كما تلد المرأة اناسي جددا » .. وحسبك مثلا القاص الفرنسي « بلزاك » الذي قيل انه « كان يدفع الاموال لبعض الاسر حتى يعيش بينها ، ويمتزج بحياتها طويلا ، لكي يعرف بعد ذلك كيف يكتب عن حياة البورجوازية الفرنسية » !..

ولا يخالجني شك في ان لديك طاقة على كتابة القصة ، بيد ان جهلك استغلال طاقتك مدعاة لهدرها .. وليتك تعلم « ان القدرة على الابداع هبة يمكن بدورها ان تسلب ، فاحذر ، لكيلا تبدد ما أوتيت » ولا جرم ان اعتمادك على انفعالك وعاطفتك عيب قد يبدو لسواك ما لا يبدو لك مما يدعو قراءك لتجاوز قصصك والاغضاء عنها ، لانهم لم يلفوا فيها بغيتهم ، ولانك لم توح اليهم بما يعينهم على فهم واقعهم ، بل اوحيت اليهم بخطأ وهمك فيه ، ونزارة تجربتك له ، وقصور تعبيرك عنه .. وما ذلك الا لانك لم تروض نفسك على معرفة هذا الواقع ورؤيته رؤية موضوعية .. ولم تبل حقيقته وتملأ جفونك منها ، بل قصرت براعتك على تصوير احاسيسك فحسب .. وما دريت ان البراعة كامنة في تصوير احاسيس الناس من حولك وحياتهم كذلك !..

ولن يتم ذلك الا اذا كانت تجربتك من العمق والوضوح والدقة بحيث تؤثر على خيال قارئك ، وتنطبع في عقله وتستهوي قلبه !..

قال وقد أضلعه الامر : وماذا تبتغي مني ان اصنع لتمسي قصصي مستساغة ، عظيمة الجدوى ، شديدة الاسر ، يميزها عن غيرها من القصص ؟

قلت : ان تنهج نهجا مغايرا ، تتحامى فيه ما انتهجته في البداية .

قال وقد أبهته ما سمع : انى لي ذلك ؟

قلت : عليك ان تكون ذا ارادة ووعي ، فتحطم القيد الذي قيدت به نفسك وفنك ، فتختلط بالناس من حولك وتندمج في حياتهم وتتجاوب معهم ، لا سيما وان على الاديب او الفنان الا يعتزل الناس « او يتغرب عن الحياة من حوله ، والا جاء تعبيره قاصرا مجتزئا ، محدود الصدق .. وليخرج الى تجارب الناس ، وليعبر عنها كما يشاء ، خلال انفعاله الصادق .. ولينقد ، وليحلل ، وليبشر ... انه سوف يكشف عن الحياة من حوله ، وسوف يكتشف نفسه وفنه كذلك ، وسيتجدد فنه بهذا ، وستجدد حياته كذلك ، ويستطيع فنه ان يجدد الحياة ذاتها من حوله ، وان يجدد الحياة من حولنا كذلك » .

فعليك اذن ان تنحو هذا النحو ، وان تعمد الى تصوير واقعك بعين عقلك مقترنة بعين عاطفتك ، لا بعين عاطفتك وحدها .. وبذلك تتم لك معرفة واقعك والتأثير فيه وتغييره ، فتطيب نفوس قرائك لقصصك ، ويتباشرون بها ويبتهجون لها ... ثم أردفت : ربما التبس الامر عليك اذ نوهت لك بالعقل وحرضتك على الانقياد له ، وما هاجني على هذا التنويه الا لعلمي أنه يخضع عاطفتك لما تقتضيه مصلحة الجماعة التي تنتسب اليها . وانه يفهم الواقع اعمق مما تفهمه العاطفة ، وانه

١ ـ ادباء معاصرون ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ـ وحيد النقاش ـ كتاب الهلال ـ العدد ٢٤١ ـ فبراير ١٩٧١ .

٢ ـ الثقافة والثورة ص ١٥٤ ـ لمحمود امين العالم ـ دار الاداب ـ بيروت ١٩٧٠ .

بالتالي شاهد صدق على ما تراه وتحسه وتحياه .. **لا سيما وان العقل – كما ينبئنا علماء الاجتماع –** « ليس بروح مجردة عن الجسم مستقلة عن الزمان والمكان ، وانما هو حركة الانسان في جماعته الاجتماعية، ويجب ان يقتصر استخدامه على الاغراض التي تقتضيها حياة تلك الجماعة » !...

وهل ثمة أجدر من الاديب او المفكر باستخدامه ، ما دامت وظيفته تغيير مجتمعه ، ورائدة السمو به ؟.

قال مطيلا طرف الحديث : اويكفي العقل والعاطفة، او المعرفة والانفعال وحدهما في كتابة القصة ؟ أين اذن القواعد والقوانين التي يجب على القاص مراعاتها ؟ أين النماذج القصصية المختارة وسواها من روائع الادب والفكر التي ليس بد للقاص او الاديب من الاطلاع عليها ، ليفيد منها في تعميق ثقافته واغناء وجدانه ؟

قلت : وقد آنست منه افتتانا بما أفضى : اما القواعد والقوانين فلست أنكر عليك الاستئناس بها في كتابتك ، بل احضك عليها ، لانها خلاصة خبرات وتجارب ذوي مهارة في كتابة القصة .. **بيد ان ما انصح لك به الا** تغلو او تشتد وراءها ، لئلا يكون صنيعك هذا ذريعة الى **تقيدك بها ، وجريك على سننها** واقتدائك بواضعيها ، لان ما اتسق لهم ، قد لا يتسق لك ، ولان ما تتشوف اليه انت في كتابتك ، ربما لم يخطر لهم ان تشوفوا اليه .. لذا لا أبتغي لك – وانت في بداية الطريق – ان تشغلك اية قواعد او قوانين مهما كان شأنها ، لانها ان **اجدتك في تلمس طريقك ، فلن تجديك في السير عليها..** ناهيك من انها لن تخلق منك قاصا البتة ، مهما جهدت في التقيد بها .. هذا من نحو ، ومن نحو آخر فان لكل قاص موهوب متمكن من فنه – بل لكل عصر – قواعده وقوانينه التي تولد معه .. وعليك ان شئت ان تغدو قاصا حقا ، تعرف باسلوبك المميز ، ويشار الى تفردك واصالتك ، ان تبدع لنفسك قواعد وقوانين خاصة بك ، **لا سيما وان فيها مشابه من تجربة العمل الفني** « التي لا تتكرر عند فنان آخر ، بل لا تتكرر في عملين صادرين عن فنان واحد » !...

اما ما يتصل بالنماذج التي ذكرت ، فلا مندوحة لك عن الاطلاع عليها ، والتزود منها ، لانها تعمق ثقافتك وتنمي معرفتك ، وتغني وجدانك ، ومن ثم ترشدك الى النهج السوي في الكتابة ، كما تقصيك عن الشوائب التي قد تلم بكتابتك !..

واني موصيك خيرا بالاكثار من الاطلاع عليها ، ما وسعتك القدرة واسعفك الوقت ، شريطة ان تعي ما تطالعه ، وتتمثله ، وتتذوقه وتصدف عن تقليده!.. ولك اسوة بالروائي « فلوبير » الذي قيل انه كان « قارئا مجنونا بالقراءة .. كان يقرأ ويسجل ملاحظاته بلا توقف ، وهو يستعد بالقراءة خمس سنوات متتالية لكتابة رواية واحدة » !...

واذ فطن صاحبي لما ابديت ، وآمن بصحة ما قلت أطرق مديدة ، نبأني فيها حدسي وانا ارمقه بعيني ، بأن ندامة غشيته على ما فرط منه في نسيانه التوفيق بين عقله وعاطفته .. ثم ما عتم ان رفع ناظريه وقد اشرق وجهه ، وطفق يفيض بالحديث عن المواهب القصصية الفتية عندنا ، التي اخذت تشتد في سمتها وتشق طريقا جديدة لم تجر عادة قصصيينا الرواد بمثلها .. وراح يبثني شكاته من النقاد الذين دأبوا على تجريح هذه المواهب والنيل منها ، ابتغاء تحطيمها وتثبيط عزائم اصحابها ، عازيا ذلك الى عوامل جمة لم تتوفر لهؤلاء النقاد ، منها – كما يقول –: عمق الثقافة، ونضج الرؤية ، وصفاء الوجدان ، وصدق التناول ؟

لذا فقد ظل نقدنا – ان جاز ان نسمي هذا الهذر نقدا – عاجزا أشد العجز عن تجديد معالم ادبنا ، بعيدا أنأى البعد عن تقويم حركتنا الادبية الوليدة الناشطة والتأثير فيها ، قاصرا عن المشاركة في اضافة ابعاد جديدة يفيد منها ادبنا ، ويستهدي بها ادباؤنا ، فتقودهم الى بلوغ هدفهم ، وتعينهم على اداء رسالتهم ! ..

واذ تروبت فيما اورد من جور النقاد وجهلهم ، ومضيهم على خطئهم ، ثار في خاطري ان انفض له لاروح عن نفسه نبأ احد قدمائنا ، وكان شديد الغار على ادب عصره ، شديد الحرص على شحذ مواهب ادبائه ، فلم يغمض عن اساءة بدرت من ناقد فهتف غاضبا : « فليترفق بهم فما بلغ احد علما بقوة ، ولا غاية بعسف » .

ثم ما لبث ان مضى مطرقا لا ينبس . ومكثت وحدي اعقد ناظري بمرآة فأرى الى ما يعانيه هو وامثاله من الادباء والقصاصين الناشئين من جور النقاد ، وما يتحسونه من مرارة نقدهم ، ولو انصفوا لكشفوا لهم عن الخطأ ، ودلوهم على الصواب ، فصنعوا بذلك صنيع ناقد اندلسي منصف قرأ كتاب صاحبه فلم تعفه الصحبة من قول الحق فيه ، فدل على معرفته اصول النقد ، قبل ان يعرفها الغربيون بمئات السنين ، حيث قال : « وهو صاحبي الذي اوافقه في هذا الكتاب تارة ، وتارة أؤاخذه ، ومرة اعاهده ، ومرة انابذه » !..

فيم لا تنطلق اذن السنة نقادنا على غرار ما انطلق لسان ناقدنا القديم ؟ أم انه طراز من القول الصحيح لا يحسنونه ؟ لست ادري !..

دمشق — **سعد صائب**

الفـرح القـتيـل

صقـر أليف
كان ينقب في مداخل البعد
عن أنصار يحملون في طيرانهم اوسمة الموت
ويرشون السموات بالذكريات
ولأنه المولود في لحظة النهاية
فقد اختارته السيوف
لكي يلمع في قضيتها
ويحلق داخل الارض
يطير بين التراب والظلمة البيضاء
ليجمع اصوات النصر المبعثر
ويبنيها جدارا سميكا من الزمن
ويرفعها في اعماق العربي المنتظر

صقـر أليف
حمل جميع الاوسمة
واغتصب أفراحنا القتيلة
وطار في سجف الاشياء الهائلة
تحت اقدام الانسان
معترفين له بلحم صمته المسفوك
وفضيلة ابتسامته
عند انفجار الغدر المتجه اليه
ومزدانا باناقة النصر في كل وقت

لكن لماذا أيها الحقد
كان دويك أصخب من طعم الصبر
ومـرا بانفجاره
حتى أقتنصت بذعرك العالي
ريشة واحدة فوق العادة
لصقر أليف كان يعلم
أنـه ولـد شهيدا
يثقب بنظره الحاد مداخل البعد
باحثـا عـن أنصار
يحملون في طيرانهم اليه أوسمة الموت
فآثر ان يطير الى يافا ورفح وعيلبون
بين التراب والظلمة البيضاء

مكفنا بعبير شجرة مرارتنا
وهي تفوح بزهورها الناصعة
ممتلئا بالعودة
وممزوجا بالصدى العنيف

ليكن نادرا ايقاف الموت
ما دام هناك من يلمح في ذاته
طيرانـا خفيـا
يتعرف فيه الى حياة الاعداء
فما من شيء يعطل الجرأة سوى التردد
ومـا مـن مغامر
الا ستحكمه فجاءة الشجاعة
في المنعطفات ، والفضاء ، والحقول الساكنة
بالوقـار المعزول
فعندما تتسلى الاحزان
بنجاح الانتصار الاسود
يزأر الباقي من تفضن الوجوه العاصفة
ويحلق الواحد في فضاء الآخر
خارجا من الخيام الى العودة

غير انه وهو الصقر المغتسل
بفرحـه القتيل
يرتفع بزمانه على قمم الجبال
وجسده ذو الصور المقلقة
مليء بنقاء المشاعل المبتهجة باحتراقها
يزيـح بكـل طفولـة
عن جبهة الليل ، تجهمه الغامض
ويده مرفوعة كلمة واحدة للتضحية
والاخرى تفتح طريق طيرانها الخفي
بين التراب والظلمة البيضاء
متعرفة بحدسها على الشهداء
وموجودة في مجهول الغد
ومحطمة على ابواب العودة
أقفـال الانتظـار

حلب

لؤي فؤاد الاسعد

رجل بلا وطن

بقلم اسمى طوبـي

***

وطن ... احرف ثلاثة ما اروعها اغنية على الشفاه وهي للفنانين والشعراء اهزوجة في فم كل مخلوق قطعة من كيان المرء ينفطر قلبه بدونها .

انها حيثما توجه الانسان تظل فردوسه .. يظل صوتها في اذنيه يناديه .. تعال .. وحتى بعد الموت تنادي ابناءها فيحسون الراحة اذا ما رقدوا بين احضانها . « احملوا قلبي ليدفن في فرنسا » .. تلك كانت وصية نابليون الجبار قبل وفاته .

ولقد كتب الكاتب ادوارد ايفرت هيل قصة الرجل الذي لا وطن له فترجمت الى لغات عدة ذلك لان الوطن هو في كل مكان .. ولكل انسان قال الكاتب :

كان فيلب نولان ضابطا من المع العسكريين في الولايات المتحدة ولكنه اخطأ بحق بلاده فقبض عليه وحوكم .. وسئل اثناء المحاكمة .. هل لديه ما يثبت ولاءه لامريكا ..؟ فصاح في غمرة نزقه وطيشه .. الا سحقا لامريكا وولاياتها المتحدة .. كم تمنيت ان لا اسمع باسمها . وصعق النظارة واكفهر وجه القاضي ثم اختلى بهيئة المحكمة وعاد بعد دقائق فنطق بحكم لم يسمع التاريخ اغرب منه قال : لقد حكمت المحكمة ان تلبي طلبك فلا تدعك تسمع بأسم بلادك بعد .

وابتسم الضابط فما شعر ساعتئذ بقسوة الحكم ولا ادرك معنى هذه الكلمات القليلة التي تلفظ بها القاضي بمنتهى البساطة .

وجرد نولان من سيفه ونزعت ازرار بزته العسكرية .. وجرد من كل اثر يذكره ببلاده .. ثم امرت المحكمة ان ينقل الى ظهر سفينة تبحر به بعيدا عن وطنه فاذا ما اتمت رحلتها وعادت سلمته قبل ان تشرف على شواطىء بلاده الى سفينة اخرى مبحرة بعيدا .. وهكذا لا ترى عيناه شواطىء موطنه حتى الموت .

وصدرت الاوامر كذلك الى السفن الامريكية ان لا ينطق بحارتها بكلمتي الولايات المتحدة امامه .. وان ينذر كل راكب جديد يصعد الى باخرة تقل نولان بان التكلم الى هذا الشاب او ذكر حرف عن الولايات المتحدة امامه ممنوع منعا باتا . وصدرت الاوامر كذلك الى كل ربابنة السفن ان ينزعوا من كل مجلة او صحيفة تصل المركب الكلمات او الاخبار التي تشير من بعيد او قريب الى الولايات المتحدة .

وابتدأ القصاص الرهيب .. عاش نولان خمسين عاما من حياته على ظهر السفن .. يعامل باحترام ولا يعرض لاي مهانة ولا يذكر بانه سجين ولكنه « الرجل الذي لا وطن له » . ولم يستطع ان يتناول طعامه مع احد من الضباط .. كانوا يودون التحدث عن وطنهم واهلهم واولادهم وكان وجوده بينهم يحرمهم من ذلك وهكذا كان يتناول طعامه وحيدا . وكان اذا ما اقيمت حفلة في السفينة يدعى اليها او لا يدعى وفقا لرغبة القائمين على الحفلة .. فاذا ما دعي اليها ذهب يحرسه جندي وقد لبس لباسه العسكري الذي نزعت عنه الازرار التي تحمل شارة الوطن الذي لعنه . ولقد تقف السفينة في ميناء ما اشهرا فلا يسمح له بالنزول الى المدينة لئلا يسمع شيئا عن بلاده .

وكان الضابط الثائر في بادىء الامر لا يحفل كثيرا بوضعه حتى حدث ما جرح صميم فؤاده . لقد تجمع البحارة في امسية ما وجلسوا على ظهر السفينة يقطعون الوقت بقراءة ديوان شعري عثر عليه احدهم .. ورأوا ان يشركوا نولان فدعوه ليجلس بينهم .. ودار الكتاب على الجالسين ليقرأ كل واحد منهم قصيدة حتى وصل الى الثائر السجين فابتدأ يقرأ بصوته العذب الشعر الذي رآه امامه :

أفي العالم رجل ماتت روحه
فلا يهتف بنفسه
هنا وطني ومسقط رأسه

وخيم السكون فجأة على الجالسين .. وامتقع وجه الضابط وتردد ثم جرع جرعة ماء واكمل :

رجل لا يلتهب بنيران الشوق
عندما تتجه قدماه
نحو بيته وموطنه
بعد ان عاش في غربة طويلة .

وتمنى الجالسون المصعوقون بسبب الموقف المؤلم لو انه يكف عن القراءة ويضع الكتاب جانبا ولكن شدة انفعاله ضعضعت تفكيره واضاعت سرعة خاطره فعاد يقرأ وقد امتقع لونه :

ان وجد هذا الرجل فيا لبؤسه
مهما علت رتبته وتعاظمت ثروته
فقلبه يظل مأوى للتعاسة

ولم يستطع نولان ان يتم فقد تصبب عرقه واضطربت انفاسه ثم وقف مترنحا والقى الكتاب بعيدا في البحر واسرع مضطرب الخطى الى غرفته . ولم يره احد بعد ذلك لشهرين كاملين .. وعندما خرج من غرفته بعد اعتكافه الطويل بدا مخلوقا آخر جامد الوجه صامتا لا يتكلم الا نادرا وقد طبعت كل حركاته بطابع قلب جريح فكأنما احس من تلك الليلة بعظم جرمه .. وقسوة عقابه .

وحدث حادث آخر عمق جراح نولان فقد اقامت السفينة التي كان على ظهرها مرة حفلة راقصة واحتاج الربان الى غرفة نولان فدعاه من قبيل المجاملة الى الحفلة بعد ان حذر الجميع من تركه يتحدث الى اشخاص غير موثوق بهم . وفي اثناء الحفلة جلس نولان الى احدى المدعوات فساور الجميع القلق من ان تتكلم بشيء عن الولايات المتحدة ولكنها نظرت اليهم من بعيد مطمئنة . وطال الحديث بينهما .. وسألها نولان عن رحلاتها وعن اشياء اخرى ثم قال بغتة .. كأنما بدافع لا يقهر .. وما اخبار الوطن يا سيدتي ؟ وارتسم الغضب على محيا السيدة ونظرت اليه بقسوة شديدة ثم قالت .. الوطن يا سيدي ..؟ لقد سمعت انك الرجل الذي لعن وطنه وتمنى ان لا يسمع باسمه ابدا .. ثم نهضت وتركته وحيدا .

ولم يشترك نولان بعد ذلك بحفلة حتى يوم وفاته .

ووقع حادث ثالث .. هاجمت احدى سفن الاعداء السفينة التي على ظهرها نولان .. وانصب الرصاص عليها فقتل كثيرون ثم قتل ضابط المدفعية وكل من حوله من الرجال وامتلأ ظهر السفينة بجثث القتلى واشلائهم .. وبدا ان النصر محقق للاعداء . وبغتة خرج نولان من غرفته والشجاعة تلمع في عينيه والبطولة ترتسم على جبينه الحزين .. ورأى الهرج والمرج يسودان السفينة فهتف بالرجال يأمرهم بالصمت .. وذهب الى المدفع الذي فقد ضابطه وابتدأ يضع القذائف فيه بيده ويحارب الاعداء بلا هوادة او رحمة وبين كل طلقة واخرى يشجع الرجال بكلمات مؤثرة ويعلمهم طرقا جديدة لاطلاق القذائف وهكذا حتى احرز النصر للسفينة وخرجت من القتال ظافرة ..

وعندما انتهت المعركة جمع الربان الرجال وقال للشاب البطل .. لقد فعلت الكثير يا سيدي اليوم فالف شكر لك ولن انسى ما حييت ما فعلته .. اننا كلنا نعترف بجميلك . ثم اخذ الربان سيف قائد الاعداء وقدمه للرجل الذي لا وطن له وطلب منه ان يتقلده ففعل وهو يجهش بالبكاء لانه فقد سيفه منذ محاكمته .

واخبر الربان حكومة الولايات المتحدة بموقف نولان الوطني البطولي وطلب مسامحته جزاء عمله العظيم هذا ولكن اوراقه كانت قد احرقت مع ما احرق في حادث من الحوادث .. وهكذا قدر لنولان ان يظل الرجل الذي لا وطن له .

ويئس نولان فاستكان الى نفسه وقنع بحياته .. وقسم ساعات يومه تقسيما حكيما فراح يحرر يومياته وينكب على الكتب يدرسها بشغف .. وعلم الضباط الصغار الكثير من الفنون التي يتقنها .. ثم راح يعنى بكل من يمرض في السفينة ويقوم بطقوس الوفاة لمن يتوفى وهكذا حتى طعن في السن .

وحدث حادث رابع يحرك اقسى القلوب .. كانت الاوامر قد صدرت بتحريم تجارة الرقيق ومع ذلك فقد التقت سفينة نولان بسفينة برتغالية تحمل مجموعة من الارقاء فأسرتها .. ولم يكن هناك من يتقن اللغة البرتغالية ليقوم بالترجمة بين السفينة الآسرة والسفينة المأسورة الا نولان فاستدعوه ليقوم بالمهمة .

ووصل السفينة فكان المنظر مزريا لا يرى الانسان مثله في حياته .. قذارة لا توصف .. وثورة بين الارقاء تزيد المنظر فظاعة . وفكت قيود العبيد ليعلموا انهم اصبحوا احرارا .. وقيل لهم ان ربان السفينة الذي ود بيعهم سيشنق فصفقوا فرحا .. ولكن عندما قيل لهم انهم سيعادون الى اوطانهم جعلوا يرقصون وترامى بعضهم على قدمي نولان يقبلونهما . واصفر محيا الرجل الذي لا وطن له .. وتساقطت حبات العرق من جبينه. وكان احد الارقاء يقول .. نريد العودة الى اوطاننا .. خذونا الى بلادنا الى اطفالنا ونسائنا وبيوتنا . وكان آخر يقول .. ان ابي العجوز سيموت حسرة اذا لم يرني. وقال ثالث .. لقد خلفت ورائي امي المريضة وكنت ذاهبا الى الطبيب عندما اختطفت .

وبدا كأن الرجل الذي لا وطن له يترنح الما حتى يكاد يسقط .. والتفت الى البحار الذي بجانبه وقال هامسا : خذ ما رأيته اليوم درسا فتفهم منه كيف يعيش الانسان بلا وطن او منزل او اسرة .. واذا اغراك الشيطان يوما لتنطق بكلمة تقف بينك وبين هذه الاشياء الغالية فاهمل الاغراء والا فاطلب الى الله ان يميتك في الحال . اخلص لوطنك يا بني وعندما تنهي مهمتك بعيدا عنه اهرع اليه فرحا كما يفعل هؤلاء الارقاء .. كرس خدماتك للارض التي انجبتك ولو قادتك تلك الخدمات الى الجحيم ومهما اساء اليك وطنك فلا تنظر قط الى علم غير علمه او تشتاق الى ارض غير ارضه . ثم نظر الى البحر ساهما حزينا وقال .. آه لو انني وجدت من ينصحني كما انصحك انا الان .

ومرت الاعوام خمسون عاما كاملة والرجل الانسان لا يتكلم ولكنه يتألم بصمت حتى وجد له في قرار البحر موطنا .. ولقد كتب احد البحارة من رفاقه على السفينة التي مات عليها ما يأتي :

دخلت حجرته ولم اكن قد دخلتها من قبل فاذا به يرقد على سريره ليموت .. واذا بالغرفة الصغيرة كالمعبد الرائع .. علق على احد جدرانه صورة لرئيس الولايات المتحدة رسمها بيده وزينها بنجوم صغيرة لامعة . واشار بيده الى الجدار الآخر وقال بغصة .. ان لي وطنا هنا يا بني .. ونظرت فرأيت خريطة للولايات المتحدة رسمها من الذاكرة ووضعها في مكان يستطيع ان يراها فيه كلما اضطجع في فراشه وعلى الخريطة اسماء عجيبة .. مقاطعات وبلدانا عرفها اباؤنا ثم تغيرت منذ ذلك العهد.

الشتاء وزهر اللوز

الى التي في فرنسا ، صديقتي الغالية ، فقيدة الادب والصبا والنبل « أليس جوليفه دي كاستلو » كريمة المغترب الصديق يوسف الزرزور

زمن وقافلة وأفق يرحل ... وكأننا نجني السراب فنأمل
ألنجم ذاك وحسبت حين أفوله ... لسوى وداع أحبة هل يأفل
هي ، من لانهار المودة رافد ... ايموت في النهر الكبير الجدول
اسبالها اهدابها يا هل ترى ... سفر بعيد أم رؤى وتأمل
ويد على الصدر الدفيء لعلها ... تستمهل الاشواق او تتوسل
ها ورد بسمتها ! أللصلبان ، أم ... للناس ، أم هزء بورد يذبل
غربت بها عرباتهم فمتى الضحى ... او ما كما شمس الاصائل تفعل
أنفاسها ، كم من نسائم بيتنا ... ستلملمين صبا غدا يا انمل
أنى اتجهنا رنة لحديثها ... كادت لجرأتها ترى وتقبل
رحبت عوالمها تراها قد محت ... ما بين واقعنا وما يتخيل
فاذا افتقدت خيالها عند المدى ... وغدوت استجدي الرياح فتعول
وسألت ليل الغائبين فما يعي ... وتراه من فرط السكوت يولول
حتى الغمام يحول شيئا كالاسى ... يهمي على وجه الدنى اذ يسأل
أبصرت زهر اللوز بكر مومئا ... ان قد يعود بها الربيع المقبل
كسحابة تهب الصحاري نفسها ... وبها الروابي كل عام تحبل

باسمة باطولي

وقال لي الرجل الشاحب المضطجع على سريره بصوت خافت : دانفورت .. انني سأموت ولن اعود الى الوطن فحدثني عنه .. لا ترفض يا بني قبل ان اتم حديثي فليس على ظهر هذه السفينة .. بل ليس في امريكا كلها من هو اكثر وطنية مني فانا اقدس علم بلادي واصلي كل مساء من اجل مجده وسعادته ,فحدثني بالله عليك .. قل لي شيئا قبل ان اموت . وذاب قلبي بين ضلوعي .. واحسست انني اكون وحشا ضاريا لو امتنعت .. وخالفت واجبي رفقا بهذا الرجل الراحل التعس الذي اضاع كل حياته ثمن هفوة واحدة من هفوات الشباب . قلت له حسنا ساحدثك .. وابتسم بسمة الرضى وشد على يدي بحماس وقال : حماك الله يا بني .. حدثني عن المقاطعات والبلدان وكل شيء .. وحدثته عما جرى في بلاده خلال خمسين عاما .. الكتب الجامعات الهاتف المدارس البحرية وكل شيء .

وكان يصغي بشغف شديد ويهتف احيانا ويصفق بيديه بثورة وسرور .. ثم هدأ شيئا فشيئا وطلب الي ان اعطيه جرعة ماء فاعطيته .. فبلل شفتيه ثم طلب كتاب الصلاة ورجاني ان اقرأ له فقرة معينة وجعل يكرر معي الصلاة التالية :

انا نشكرك ايها الاله العظيم من اجل نفوسنا .. ومن اجل الوطن الذي وهبتنا .. ونشكرك على كرمك العظيم بالرغم من هفواتنا واخطائنا .

ثم قلب الصفحة واشار الى فقرة معينة فقرات .. من صميم قلوبنا ندعوك ان تحمي بلادنا ورئيس بلادنا.. ثم قال باسما .. دانفورت .. لقد كررت هذه الصلاة كل مساء خلال خمسين عاما .. وطبع قبلة على جبيني وقال .. عندما اموت انظر في هذا الكتاب يا بني .

وبعد ساعة زاره الطبيب فوجده قد لفظ انفاسه .. مات وعلى شفتيه بسمة الراحة والرضا . ونظرت في الكتاب فوجدت انه قد وضع علامة حول جملة هي : « انهم يطلبون وطنا في السماء ...... لان الله وعدهم بمدينة افضل » .

ثم وجدت ورقة صغيرة كتب عليها : ادفنوني في البحر فهو مثواي ولكن ضعوا على ارض الوطن صخرة لذكري حتى لا يكون عاري بعد موتي اكثر مما احتمل .. واكتبوا على الصخرة « فيلب نولان » ملازم في جيش الولايات المتحدة .. احب بلاده كثيرا ولكنه اخطأ فاستحق منها العقاب الكبير

الرابية ـ لبنان

اسمى طوبي

حتى نفهم ايليا ظاهر ابي ماضي

بقلم جورج ديمتري سليـم

* * *

ليس في حياة ابي ماضي اثر ، او مظهر لما تعود الناس رؤيته او انتظاره في حيوات الشعراء ، من « صخب » ، فقد مرت ايامه كلها على هذا الاديم ، دون حادثة او تجربة غير عادية . لقد عاش وعمل وهاجر وتزوج ورزق اولادا ، كان موفقا الى حد بعيد ، في معيشته وعمله وهجرته وزواجه واولاده . (١)

هكذا استهل عبد اللطيف شرارة دراسته التحليلية عن ايليا ظاهر ابي ماضي ، وهو حكم صحيح اذا كان مرجعه النظرة العابرة في حياة الشاعر واشعاره ، تلك النظرة التي تنتهي بتصويره لنا شاعرا ذا « فلسفة قائمة على « المزاج » ، معرضة لما يتعرض له المزاج من تقلب واضطراب » . (٢)

ونحن نتساءل : أصحيح ان يكون سر التناقض والاضطراب الذي اوصل ابا ماضي الى الحيرة كامنا ــ كما يقول شرارة ــ « في طبيعة فلسفته ... وفي التحول العام الذي طرا على البيئة التي كان يعيش فيها ، اي على الولايات المتحدة الاميركية نفسها ، في سني ما بعد الحرب الاولى » ؟ (٣) ام ان لهذا التناقض والاضطراب اسبابا اخرى اقوى لا دخل لمزاج ابي ماضي ولا للبيئة الاميركية فيهما ؟

كان ابو ماضي ــ كما يقول لنا عيسى ابراهيم الناعوري ــ « ضنينا جدا بالحديث عن نفسه وعن حياته . حتى انني حينما اردت اصدار الطبعة الاولى من هذا الكتاب عام ١٩٥١ ، كتبت اليه ارجو ان يوافيني بموجز عن حياته لاقدمه الى القراء ، وبصورة له انشرها في الكتاب ، فكتب الي ــ بعد انتظار غير قصير ــ يقول : يعز علي وانا اجيبك على رسالتك ان لا يكون مع جوابي رسم لي ، فاني مهمل هذه الناحية كل الاهمال . اما سيرة حياتي فليس فيها ما يستحق النشر ، او على الاقل هكذا اعتقد انا ، اذ ليس فيها ما ينفع فضول احد . » ويتابع الناعوري حديثه فيقول : « وليس صحيحا ان حياته ليس فيها ما ينفع فضول احد ، فانه لم يصل الى المنزلة التي وصل اليها الا بجهاد عصامي طويل ، تقلب فيه على الشوك والجمر والحراب طويلا قبل ان يعرف جنباه الفراش المريح . اتراه كان يخجل بجهاده هذا ، وهو مصدر فخر عظيم لمثله ؟ » (٤)

فالناعوري حين شرع في دراسة الشاعر ــ كما نرى ــ كان يدري ان هناك مؤثرات في حياة ابي ماضي جعلت منه هذا الشاعر الانساني الكبير . لذلك حاول ان يتعرف عليها ويستقيها من الشاعر نفسه حتى تكون دراسته سليمة . ولكنه لم يوفق . وما كان هذا ليرده عن محاولة اخرى هي فهم شاعره فهما صحيحا .

لم تكن حياة ابي ماضي كلها سعادة وهناء ، ولكنها كانت حياة متارجحة بين السعادة حينا والشقاء حينا آخر . بل لعل الشقاء كان له الكفة الراجحة في حياته . لمست نادرة جميل سراج هذا في شاعرنا ، فقالت : « هو ، كما سبق ان قلت ، باسم مستبشر امام الناس ، كئيب حزين في قرارة نفسه ، يظهر للملأ خلاف ما يبطن من هم وغم ، ولعمري ان في عمله هذا لانسانية وكرم نفس وعلوا في الاخلاق والطباع ، وفيه في الوقت نفسه كبرياء واعتداد لا يستبعدان عن نفس شاعرة رقيقة كنفس ايليا ... اي ايثار هذا الذي يدعو الشاعر الى ان يستر عبرته حتى لتكاد تحرقه في جوفه ويلتهب بنارها جفناه خشية ان يسبب الما لمن معه ؟ » (٥)

ووصف لنا احسان عباس ومحمد يوسف نجم ابا ماضي في سياق تحليلهما لقصيدة « الشاعر والملك الجائر » ، فكتبا : « القصيدة تحمل صورة رومانطيقية في اكثر اجزائها ، فلم اختار ابو ماضي ان يكون واقعيا جدا في هذا الموقف ؟ ... وليس يعتذر عن هذا الخطأ ان يقال ان الشاعر (اي ابا ماضي) يريد ان يصور قوة الموت وجبروته ، وتساوي الناس امامه ، فهذا موضوع مبتذل ، والتجديد فيه شاق ، وليس هو الموضوع الاساسي للقصيدة ، بل هذا خطأ آخر وقع فيه الشاعر ، الذي كان حائر النفس مسلوب الخاطر امام الموت ، فانزلق الموضوع من يده نحو الموت وسطوته وجبروته. وهذا التحول بالموضوع جر وراءه اخطاء اخرى ، منها : انه هون من شأن الخلود الذي احرزه الشاعر ، ومنها انه بسط سيطرة الموت على الطبيعة ، على الغاب ، على الصالح والطالح دون تمييز ، فافقد الانسان ثقته في كفاحه ،وافقده ثقته في الطبيعة وكمالها . » (٦)

نقرأ هذا التحليل فنعجب بالمحللين اذ نجدهما قد تغلغلا في نفسية ابي ماضي وكشفاها لنا ، ولم يكن هذا بالسهل ، وان عجزا في الوقت نفسه عن تبيين البواعث التي دفعت ابا ماضي الى ان يكون له « نظرته المفلسفة القائمة على عجز الانسان امام الطبيعة . » (٧)

لم يبق امامنا اذن الا الرجوع الى الوراء وعرض اهم الاحداث التي وقعت لابي ماضي في حياته ، تلك الاحداث التي ظلت مجهولة للان والتي لا شك تلقي ضوءا كافيا على اشعاره ، وتساعد على فهمه فهما كما يجب .

هاجر ايليا محيدثة لبنان الى اسكندرية مصر عام ١٩٠٠ صبيا له من العمر احد عشر عاما ، فترعرع هناك بدنيا وادبيا بينما كان يبيع السجاير والدخان . وفجاة ، عام ١٩١٠ ، يتوفى الله طانيوس ، رابع الاخوة ، وهو بجانب ايليا وفي ريعان الشباب ، فيتكفل هذا بدفنه ويرثيه بقصيدة « البدر الآفل » (٨) التي منها هذه الابيات المتفرقة :

ابعدك يعرف الصبر الحزين ... وقد طاحت بمهجته المنون
عجيب ان تعيش بنا الاماني ... وانا للاماني نستكين
وما ارواحنا الا اسارى ... وما اجسادنا الا سجون
وما في الكون مثل الكون فان ... كما تفنى الديار كذا القطين
فيا لهفي لامك حين يدوي ... نعيك بعد ما طال السكون
ولهف شقيقك النائي بعيدا ... اذا ما جاءه الخبر اليقين
ستبكيك الكواكب في الدياجي ... كما تبكيك في الروض الفصون
ويبكي اخوة قد غبت عنهم ... وأم ثاكل وأب حزين

ونحن لا نعرف عن طانيوس شيئا ، ولكننا نستطيع ان نقول بشيء من التاكيد ان وفاته كانت من الاسباب التي دفعت اخاه ايليا الى التغرب ثانية . ففي العام التالي بعدما نشر هذا الاخير « ديوان تذكار الماضي » سافر الى امريكا وحط رحاله في سنسناتي اوهايو قرب اخيه الاكبر مراد ، وكان هذا الاخ قد سبقه هناك منذ زمن . وفي هذه المدينة الجديدة بدأ ابو ماضي من جديد ، فقسم وقته بين تجارة السمانة وبين النظم . ونظن ان الحياة سارت مسراها العادي حتى آخر مارس (آذار) ١٩١٦ عندما قدم متري (ديمتري) ، ثالث الاخوة ، الى سنسناتي . ونحن لا نعلم كيف جاء متري ولماذا ، ولكن مراسل جريدة « السائح » النيويوركية ، في عدد ٣ ــ ٤ ــ ١٩١٦ ، ص٣ ، يخبرنا بانه :

« لم يكن في الحسبان ان يفاجئنا البرق بخبر ارتجت له الابدان الا وهو نعي المأسوف على صباه الفض المرحوم متري ضاهر ابو ماضي شقيق صديقينا العزيزين مراد وايليا في سنسناتي اوهايو .

وجد الشاب الفقيد صريعا في غرفته في سنسناتي التي كان قد قدم اليها قبل ثلاثة ايام . وكان اول من رآه على هذه الحالة رفيقه في المنامة جورج ناصيف ، فدعا بعضهم من الشارع فراوه ، وأاسفاه عليه ، ممددا لا حراك فيه ، واثر الرصاص في راسه ، والمسدس على الارض بقربه . فجاء الاخوان على الاثر والاصدقاء ، وبكوا الزهرة في كمها ذابلة

وما نفع البكاء !

مات الذكي الفؤاد والقوي الهمة غير متجاوز العشرين من عمره . مات غير آسف على دنيا كلها متاعب واهوال ، كلها احزان وويلات ، فتركها ساخرا بها هازئا بزخارفها ، ولكن ـ رحمه الله ـ لم يرحم مهجتي اخوين كان يحرسانه كحدقة العين ، ويدأبان في انجاحه ، ويسهران على حياته ، فتركهما رهن البكاء والعويل . »

ويتابع المراسل في عدد ٦ ـ ٤ ـ ١٩١٦ ، ص ٣ ، سرد الحادث الاليم فيقول : « جاء السبت (١ ـ ٤) وهو ميعاد دفن فقيد الشباب المرحوم متري ابي ماضي ، فصلى على الجثة كاهن ابوسكبالي .ونقلت الى النعش المعد لنقلها ، فدرجت عربة النعش ووراءها عربات الازهار المقدمة من الاصدقاء والمعارف في سنسناتي ، ثم عربات عديدة لجمهور غفير من معظم الوطنيين وسائر الموكب المؤثر ، الى المدفن ، الى المكان الاخير الذي يوضع فيه الفقيد . فأكمل الكاهن الصلاة . ووقف الشقيق الشاعر ايليا ابو ماضي عند القبر فرثى شقيقه بعبارات اثارت عواطف الحزن في القلوب ، وبكاه بقصيدة بليغة من الدموع فأبكى الاحشاء على الشباب الذابل ، ثم عاد الجميع والحزن مالىء الصدور . »

لقد كانت الرزايا لابي ماضي بالمرصاد وهو لا يدري . فلما نزلت عليه هذه الفاجعة تشجع ، ووقف للمرة الثانية في حياته عند قبر اخ اصفر ثان ، والقى (٩) :

لوعة في الضلوع مثل جهنم   تركت هذه الضلوع رمادا
بت مرمى للدهر بي يتعلم   كيف يصمي القلوب والاكبادا
كيف ينجو فؤاده أو يسلم   من تمادى به الاسى فتمادى
أنا لولا الشعور لم أتألم   ليت هذا الفؤاد كان جمادا
كيف لا أبكي وفي العين دموع   كيف لا أشكو وفي القلب صدوع
قل في الناس من صبر   مختارا

لحظة ثم صار ضحكي وجيبا   ونشيجا ، والنوم صار سهادا
رب لما خلقت هذي الخطوبا   لم لم تخلق الحشى فولاذا
كلما قلت قد وجدت حبيبا   طلع الموت بيننا يتهادى
صرت في هذه الحياة غريبا   ليت سهدي الطويل كان رقادا
فتجلد أيها القلب الجزوع   أو تدفق كلما شاء الولوع
عندما او دما هدر   أو نارا

كان بين الكرى وبيني صلح   فأراد القضاء ان تتعادى
لم أكد أخلع السواد واصحو   من ذهولي حتى لبست السوادا
في فؤادي لو يعلم الناس جرح   لا يلاشى حتى يلاشي الفؤادا
يا خليلي هيهات ينفع نصح   بعدما ضيع الحزين الرشادا
أنت لا تسطيع احياء الصريع   وانا حملء الاسى لا أستطيع
ذا الذي صير الكدر   أكدارا

ثم يذكر أخاه طانيوس فيقول :

يا ضريحا على ضفاف الوادي   جاد من أجلك الغمام البلادا
فيك اودعت منذ ست فؤادي   وبرغمي أطلت عنك البعادا
غير أني وان عدتني العوادي   ما عدتني بالروح أن أرتادا
أنبتت حولك الزهور الغوادي   والليالي أنبتن حولي القتادا
وذبول الغصن في فصل الربيع   لو رآه شجر الروض المريع
جمد الماء في الشجر   محتارا

وتحرك هذه المأساة المؤلمة بعض الشعراء الاصدقاء ايضا ، فينظم نعمة الحاج « الى البلبل النائح » (١٠) ليعزي بها صديقه ايليا ، ويفتتحها بهذا المقطع :

خل عنك النواح   وانف عنك الكدر
من تولى استراح   من شقاء البشر
فعلى الراقد الرقاد الطويلا   رحمة الله بكرة وأصيلا
ووداعا قولوا ، وكفوا العويلا   ذاك حكم القدر

وينظم « غصن » صديق آخر هو فارس شلنك . (١١)

كان لا بد بعد الذي كان ان يضيق ايليا بسنسناتي كما ضاق بالاسكندرية من قبل ، فيتحين فرصة لهجرة ثالثة . وتأتيه الفرصة في الصيف ، فينتقل الى مدينة نيويورك على اثر دعوة من بعض الشباب العربي الفلسطيني يعهدون اليه بتحرير « المجلة العربية » التي كانوا يصدرونها هناك .

ولم يكن هذا الخطب الاليم هو الوحيد الذي تلقاه شاعرنا في فترة الحرب العالمية الاولى ، اي ما بين يونيو (حزيران) ١٩١٤ ونوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨ . فقد قيل لنا ان ابرهيم ، خامس الاخوة ، توفي خلال هذه الحرب في المحيدثة ، مسقط رأس الشاعر . (١٢)ونحن لا نعرف بعد كيف ومتى توفي بالتمام ، وان كنا نرجح ان وفاته كانت بعد ابريل (نيسان) ١٩١٦ . ولا شك انِ هذه الوفيات المتتابعة في العائلة الماضية اثرت في نفس ايليا فنظم قصائد مثل « في عصر الرشيد » (١٩١٦) ، و « اذا مت » (١٩١٧)، و « أنة نائح » (١٩١٨) ،و« نزوة ألم » التي لم نستطع تأريخها والتي نظن انها ترجع الى هذه الفترة . (١٣) فقد جاء فيها :

رمته الحادثات بكل سهم   وخدشه الزمان بكل ناب
فراح كأنما هو شعب موسى   غداة التيه في القفر اليباب
نأى عن أرض مصر حذار ضيم   ففر من العذاب الى العذاب

ولكن يظهر ان الدهر الذي عبس له زمنا وقسا عليه بدأ يتبسم له ويرأف بحاله . فاذا به يسمع في عام ١٩١٨ انَّ اخته الوحيدة جنى (اوجيني) ، صغرى الاخوة ، اقترنت بابرهيم نمر الخوري نعمه ، (١٤) فيفرح في الغربة ومعه مراد ، كما يفرح عندما يخطب هو ، في ١٥ ابريل (نيسان) من نفس السنة ، دوروثي (دورا) ابنة نجيب موسى دياب صاحب جريدة « مرآة الغرب » النيويوركية ، (١٥) التي اقترن بها في ٢٥ ابريل (نيسان) ١٩٢٠ . (١٦) ويمر عامان آخران يرزق بعدهما برتشرد اول انجاله ، فيسر ، ويكتب الى امين الريحاني من نيويورك بتاريخ ٢٨ ـ ٢ ـ ١٩٢٢ : « انا كما تركتني الا اني صرت يوم الخميس الموافق ٢٣ شباط ابا وصارت زوجتي اما . فقد رزقنا غلاما هو عندي اجمل قصيدة نظمتها الحياة في حياتي . » (١٧)

ويمر عام تقريبا يجيء بعده ربيع ١٩٢٣ بغير المنتظر . اخته اوجيني التي كانت تملأ قلبه وقلب مراد بعواطف الحياة والامل يتوفاها الله اثر ولادتها الاولى قوسايا البقاع بلبنان . (١٨)

اذن فقد انقلبت عليه الايام مرة ثانية بعد ان كان قد أمن جانبها . وكأن الذي اصابه في اخوته لا يكفيه ، اذ به يجد ان ادوارد ، نجله الثاني ،« قد خلق مريضا بعاهة دائمة عاجزا عن القيام بأي عمل .»(١٩)

لم يكن هناك في لبنان ، بعد فقد جنى ، من يستطيع ملء الفراغ الذي تركته في حياة ظاهر (ضاهر) وسلمى ابي ماضي وفاة اربعة اولاد ماتوا كلهم في ريعان الشباب ودون انجاب . لذلك رحل الوالدان الثاكلان الى العالم الجديد ليكونا قريبين من ابنيهما الاكبرين في سنيهم الاخيرة . ولا ندري تاريخ وصول الوالدين الى الولايات المتحدة ، ولكن ندري انهما اقاما فيها وقتا ينعمان بمرآى ابنيهما وحفيديهما حتى كانت اواخر عام ١٩٣١ عندما قرر الوالد « ان يغادر هذه البلاد ... مدفوعا بعامل الحنين الى مراتع صباه وشبابه ، فعاد الى الوطن رغم توسلات نجليه . » (٢٠) وتمضي اشهر يصل بعدها الى زوجته وابنيه ، في يناير (كانون الثاني) ١٩٣١ ، نعيه غير المتوقع من المحيدثة . وكان لهذه الوفاة المفاجئة بعيدا عن العائلة وقعها في ايليا الذي رثا اباه بقصيدة منها هذه الابيات المتفرقة (٢١) :

أبي ! خانني فيك الردى فتقوضت   مقاصير أحلامي كبيت من التبن
فليس سوى طعم المنية في فمي   وليس سوى صوت النوادب في أذني
أبحت الاسى دمعي وأنهبته دمي   وكنت اعد الحزن ضربا من الجبن
أحتى وداع الاهل يحرمه الفتى   أيا دهر هذا منتهى الحيف والغبن

ولكن من عادة الدهر الا يستقر على حال مهما طال . اذ تبسم له

ثانية بعد تجبهم . ففي ١ ـ ٥ ـ ١٩٣٢ يسعد الشاعر بروبرت ، مولوده الثالث والاخير . (٢٢) وتستقيم له الايام بعد ذلك ، فيهنأ بها بعد ان تحمل الكثير من اذاها . ولا يعكر صفو هذا الهناء الا فجيعتان ليس لهما ، على ما نظن ، هول فجائعه السابقة . فاما الفجيعة الاولى فهي وفاة حميه بمدينة نيويورك في ١١ ـ ٧ ـ ١٩٣٦ ، اثـر عملية جراحية ، وله من العمر ـ كما قيل ـ ستة وخمسون عاما . (٢٣) واما الفجيعة الثانية فهي وفاة والدته قريبة منه في ٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٤٣ ، وهي في سبعينياتها او ثمانينياتها . (٢٤) وتفيدنا جريدتا « السائح » و « الهدى » بتاريخ ١٦ ـ ٧ ـ ١٩٣٦ ، ص ٢ و٣ على التوالي ، بأن ابا ماضي كان قد ودع حماه عند القبر بقصيدة مؤثرة ، لم أوفق الى العثور عليها بعد . أما والدته فلم يرثها هو ، حسب مـا جـاء في « السائح » بتاريخ ٢٩ ـ ٣ ـ ١٩٤٣ ، ص ٢ ، بـل رثاها صديقان له : توفيق فخر مساعده في تحرير « السمير » ، وفوزي البريـدي صاحب جريدة « الاصلاح » النيويوركية ، ومرافقه في سفرته الـى لبنان عام ١٩٤٨ .

بقي الآن ، وعلى ضوء ما تقدم ، النظر في الفكرة القائلة بالحاد أبي ماضي وكفره . لقد استسهل الاب روفائيل نخلة اليسوعي الامر، كما استسهله غيره ايضا ، فحكم على أبي ماضي ، حكما نظنه فاصلا ، بانه « كافر متحذلق » ، « يجهد مخيلته لبث الحاده السمج » ، وبانه « قد سخر شاعريته السامية لنشر الحاده وشكه الفاضحين في انحاء العالم العربي » (٢٥) ، دون ان يحاول البحث عن بواعث هذا الكفر ، ولو فعل لما صب غضبه على أبي ماضي كما صبه ، بل لقام مدافعـا عنه كما قام الاب لويس شيخو اليسوعي من قبله مدافعا عن المعري ، حين كتب « تبرئة أبي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء » . (٢٦)

وهنا يجب علينا ان نقف لحظة لنتساءل : أليس من الانصاف لانفسنا وللاديب المدروس أيا كان ، اذا جهلنا تفاصيل حياته ووقائعها، وتغيب علينا مكوناته النفسية ومسبباتها ، ولم يكن امامنا الا المعلوم من انتاجه الادبي نعتمد عليه اعتمادا كليـا لدرسه ، أليس مـن الانصاف ـ ان نتثبت في احكامنا عليه ، ونتحفظ في اصدارها ؟

فهم هذا زهير ميرزا ، فكتب في دراسته القيمـة تحت عنوان « الله ومشيئته » : « ليس هناك وضوح في رأي الشاعـر في هـذا الموضوع الخطير ، فلست تلمح الحادا وكفرا ، كمـا لا تلمح ايمانـا واضحا » . (٢٧) اما انا فاستطيع ان اقول ان أبا ماضي كان مؤمنا ، غير ان ايمانه كان اكثر وضوحا في شبابه منه في كهولته وشيخوخته . تشهد بذلك قصيدة مصرية له ما زالت مخطوطة (٢٨) ، جاء فيها :

أنكـرت ربـك هازئـا   هبلتك أمـك جئت نكرا
وزعمت ان الله وهـم   مـر في الاذهان مـرا
ونما مع الاجيال حتى   صار رب الناس طـرا
فعلى م ذهنك ما بـه   أثر لـه ، أفكنت صخرا
اني لابصر في الصخو   ر وكل شيء منه أثرا
حاشا المهيمن أن يكو   ن كما زعمت، لقيت شرا
قصرت عـن ادراكـه   فحسبت بالرحمـن قصرا
وكذاك ذو الطرف الحسـ   ـير يخال بالاضواء حسرا

قل للالى نبذوا التقى   واستملحوا الكفر الامرا
من ذا الذي أرخى الظلا   م ، وأطلع القمـر الاغرا
ومن الذي نظـم الكوا   كب في السما بدرا فبدرا
ومن الذي أرسى الجبا   ل ، وسير الامواه بحرا
ومن الذي نشر الغما   م وساقه للارض قطـرا
وعجائـب وغـرائـب   لا أستطيع لهـن حصرا
أفكل ذلـك صدفـة   جاءت لامـر ليس يدرى
انـي تتبعـت المشا   هد وهي فوق الارض تترى
فرأيت هذي الشمس تط   ـلع ثم تغرب وهي حسرى

ولقد نظرت البحر يخ   طر لا يني مدا وجزرا
لا يستقر وكـل مـا   فيـه أراه مستقـرا
والليل يقفوه النهـا   ر ويقتفيه الليـل اثـرا
يتناوشـان كلاهمـا   أعمارنـا كـرا وفـرا
واليوم يمضي لا يعود   كأنما قـد حل قبـرا
والمرء يولـد غير مخ   تار ، وبعد يموت قسرا
هـذا وذاك وكلهـا   تدعو الحكيم بأن يقـرا
أو بعد ذلـك يستطيـ   ـع المـرء بالديان كفـرا
رب السماوات العلـى   والموجـد الاشياء طـرا
انـي لارجو أن تتـو   ب الى الهدى فتنال أجرا
من لـم يعمر قلبه الـ   ـايمان ظـل الدهـر قفرا

نعم ، كان أبو ماضي مؤمنا حقا ، فلولا هذا الايمان الذي مـلأ قلبه في صباه لما صمد في هذه الحياة بعد الذي أصابه فيها . وكم كان صادقا حين قال في قصيف تكشف عن شخصيته (٢٩) :

فمـا حطمت يـد الايـام روحي   وان حطمت أباريقي و ....

وللحديث عن أبي ماضي بقية ، أيها القارىء العزيز .

الحواشي

(١ ـ ٣) عبد اللطيف شرارة ، « ايليا أبـو ماضي : دراسة تحليلية » . بيروت ، دار بيروت ـ دار صادر ، ١٩٦٥ ، ص ٦ ، ٢٨، ٣٤ على التوالي .

(٤) عيسى الناعوري ، « ايليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث » . ط ٢ . بيروت ، منشورات عويـدات ، ١٩٥٨ ، ص ١٦ ـ ١٧ .

(٥) نادرة جميل سراج ، « دراسات في شعر المهجر : شعـراء الرابطة القلمية » . القاهـرة ، دار المعارف ، ١٩٥٧ ، ص ٣٣٩ ، او ١٩٦٤ ، ص ٣٣٦ .

(٦ ـ ٧) احسان عباس ومحمد يوسف نجم « الشعر العربـي في المهجر : اميركا الشمالية » . بيروت ، دار صادر ـ دار بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ١٦٥ و١٥٢ على التوالي .

(٨) راجع القصيدة في « ديوان تذكار الماضي ، نظم ايليا ظاهر ابو ماضي » ، الجزء الاول . الإسكندرية ، المطبعة المصرية ، ١٩١١ ، ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(٩) راجع القصيدة كلها في « ديوان ايليا أبو ماضي » ، الجزء الثاني . نيويورك ، مطبعة مرآة الغرب اليومية ، ١٩١٩ ، ص ١٦٦ ـ ١٦٨ ، وعنوانها « مصرع القمر » . نشرت أصلا بعنوان « دمعة حارة» في « السائح » ٢٤ ـ ٤ ـ ١٩١٦ ، ص ٤ . راجع كذلك « السائح » ٢٧ ـ ٤ ـ ١٩١٦ ، ص ٣ ، تحت عنوان « واجب الشكر » .

(١٠) نشرت القصيدة اصلا في « السائح » ١٥ ـ ٥ ـ ١٩١٦ ، ص ٤ ، ثم في « ديوان نعمة الحاج » ، الجزء الاول . نيويـورك ، المطبعة التجارية السورية الامريكية ، (١٩٢١) ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(١١) القصيدة في « السائح » ٦ ـ ٤ ـ ١٩١٦ ، ص ٤ .

(١٢) جرجي ابرهيم نصر ، « امير شعراء المهجر : ايليا أبـو ماضي ، ١٨٨٩ ـ ١٩٥٧ » ، « المشـرق » البيروتيـة ، ت٢ ـ ك١ ١٩٦٩ ، ص ٦٥٢ .

(١٣) نشر أبو ماضي القصائد الثلاث الاولى أصلا في « الفنون » النيويوركية ، آب ١٩١٦ ، ص ٢٤٤ ، « السائح » ١١ ـ ١٠ ـ ١٩١٧، ص ٤ ، و « السائح المتـاز » ١٧ ـ ١ ـ ١٩١٨ ، ص ٢ ، علـى التوالي . ثم ضمنها « ديوان ايليا أبو ماضي » ، الجـزء الثاني ، ١٩١٩ ، ص ٢٨ ، ١٩٠ ، ١٥٦ . اما قصيدة « نزوة ألم » فهي فـي ص ٩٣ . والملاحظ أن أبا ماضي كان يغير أحيانا عناوين قصائده عندما ينشرها في ديوان . فقصيدة « اذا مت » أصبحت « ابنـة الفجر » و « انة نائح » أصبحت « يا جارتي » . والعنوانان الجديدان كما نرى

شجن

سهرت تسامرني ادمعي ... وليت الذي همت فيه يعي
يعي ما أقاسي فينصفني ... ويرحم شكواي او يدعي
يرى في عيوني شموع الاسى ... وفي ضوئها لمعت أدمعي
ويسمع خفق ابن جنبي الذي ... تعالى وضاق به مسمعي
فينكر دمعي وخفق ابن جنبي ... وما قد تداعت له أضلعي
وامضي على درب هذا الجوى ... الى الشجن البالغ المفزع
ومن عبث الحب بالعاشقين ... حنين المحب الى المصرع
وحسبي خطاه اذا ما خطا ... ولو في دموعي او أضلعي
وأفديه قلبا غدا طيعا ... واطوع من مدمعي الطيع
لان صار مورده سلسلا ... صفي الجداول والمنبع
هو ... وهو المنار الذي ... يقود شراعي الى الابدع
واخشى زمانا يرى مدمعي ... عصيا ، فيهفو الى أدمعي

القاهرة — أحمد عبد المجيد

خاليان من النغمة الحزينة . وأحب أن أشير هنا أيضا الى المثل اللاتيني Per aspera ad astra الذي أدرجه أبو ماضي في نهاية قصيدة « عصر الرشيد » ، ص ٣٢ من الديوان المذكور ، والذي ترجمته « خلال الصعاب الى النجوم » .

(١٤) جرجي ابرهيم نصر ، ص ٦٥٦ .

(١٥) « السائح » ١٥ – ٤ – ١٩١٨ ، ص ٢ . راجع كذلك « السائح » ٢٢ – ٤ – ١٩١٨ ، ص ٥ ، التي نشرت تحت عنوان « مداعبة شعرية » قصيدتين : الاولى لندرة حداد نظمها بمناسبة خطبة صديقه ايليا ، والثانية لابي ماضي يرد بها على ندرة .

(١٦) « السائح » ٢٦ – ٤ – ١٩٢٠ ، ص ٢ .

(١٧) « السائح » ٢٧ – ٢ – ١٩٢٢ ، ص ٢ ، و « الريحاني ومعاصروه : رسائل الادباء اليه » ، جمعها ألبرت الريحاني . بيروت ، دار الريحاني ، ١٩٦٦ ، ص ١٩٨ .

(١٨) « السائح » ١٢ – ٤ – ١٩٢٣ ، ص ٢ .

(١٩) جورج صيدح ، « أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية » . ط ٣ . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ ، ص ٢٩٥ . راجع كذلك خيرية خيري ، « ايليا أبو ماضي يقول ... » ، مجلة « الجيل » القاهرية ، ١٤ – ١١ – ١٩٥٥ ، ص ٣٥ . لم اعثر اثناء بحثي على تاريخ ولادة ادوارد ، أما تاريخ عماده فهو ٣٠ – ١١ – ١٩٢٤ حسب ما جاء في « السائح » ١ – ١٢ – ١٩٢٤ ، ص ٢ .

(٢٠) « السائح » ٢٩ – ١ – ١٩٣١ .

(٢١) « الخمائل » . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٥ . ص ١٠٩ .

(٢٢) « الهدى » النيويوركية ٥ – ٥ – ١٩٣٣ ، ص ٣ .

(٢٣) « الهدى » ١١ – ٧ – ١٩٣٦ ، ص ١ ، و « السائح » ١٣ – ٧ ، ص ٢ . لم تذكر هاتان الجريدتان تاريخ ميلاد دياب او سنه عند الوفاة ، أما جريدة الـ « نيويورك تايمز » بتاريخ ١٤ – ٧ ، ص ٢٠ ، فتفيدنا بأن عمره كان ٥٦ عاما ، وهذا غير معقول . فالمعروف انه تولى تحرير جريدة « كوكب اميركا » النيويوركية عام ١٨٩٣ حتى أنشأ جريدته « مرآة الغرب » في ١٢ – ٩ – ١٨٩٩ وعكف على تحريرها وادارتها حتى وفاته . راجع لهذا ما كتبه سلوم مكرزل في « الهدى » ١٤ – ٣ – ١٩٣٦ ، ص ٤ ، وفيليب دي طرازي في « تاريخ الصحافة العربية » ، الجزء الرابع . بيروت ، المطبعة الاميركانية ، ١٩٣٣ ، ص ٤٠٧ و ٤٠٩ .

(٢٤) « السائح » ٢٢ – ٣ – ١٩٤٣ ، ص ٣ ، ٢٩ – ٣ ، ص ٣ ، « الهدى » ٢٣ – ٣ ، ص ٣ . – نرجح هذه السن اذا كان صحيحا أن الوالد كان له من العمر ٧٦ سنة عندما توفي ، حسب ما ذكره جرجي ابرهيم نصر ، ص ٦٥٢ .

(٢٥) الاب رفائيل نخلة اليسوعي ، « الشاعر ايليا أبو ماضي، ١٨٩٠ – ١٩٥٧ » ، « المشرق » ، ك٢ – شباط ١٩٦٨ ، ص ٨٤ ، ٧٧ ، ٨٦ .

(٢٦) الاب لويس شيخو اليسوعي ، « تبرئة ابي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء » ، « المشرق » ، ١ – ١٢ – ١٩٠١ ، ص ١٠٦٨ – ١٠٧٢ .

(٢٧) « ايليا ابو ماضي شاعر المهجر الاكبر : شعر ودراسة » . ط ٢ . (بيروت) ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦٣ ، ص ٨٦ .

(٢٨) تفضل صديقي الدكتور روبرت ماضي فوضع مخطوطات والده بين يدي . وانا الان قيد اعداد « مصريات ابي ماضي المجهولة » ، وهو كتاب يضم اشعار ابى ماضى التى نظمها في مصر ولم ينشرها في ديوان ، والتي منها هذه القصيدة . اما اشعاره الاخرى المجهولة التي ظلت مبعثرة في بعض الجرائد والمجلات والكتب فقد جمعت منها ٧٨٤ بيتا في كتاب تحت الطبع الان عنوانه « ايليا ظاهر ابو ماضي ، ١٨٨٩ – ١٩٥٧ : اشعار له مجهولة مع تاريخ وببليوغرافيا لدراسته » .

(٢٩) قصيدة « وقائلة » في « الخمائل » . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٥ ، ص ٣٨ .

واشنطن — جورج ديمتري سليم

مصرع كبش

●

وقفت فما أغراك يا كبش بالموت ... أما كان خيرا لو مضيت على سمت
وظلت لنعجات يرينك سيدا ... وكنت بها تمضي الى صالح النبت
ولكن قضاء حال دونك فانثنت ... دلائل حمق اوصت النفس بالبت
بدت صورة شوهاء . قرنان لوحا ... وعينان مثل النار نفثا بلا صوت
أجل خانك التوفيق يا كبش عندما ... نهزت الى كبش شبيهك في النعت
هجمت تريد الخصم وهو معرس ... بمرآته يختال كالفارس الصلت
كأنك لما ان نويت تريده ... وتقتص منه الغدر فعل ذوي الخت(١)
تقول لنفس لم تهبك قيادها ... لقد زغت عن حق وفي العدل قد جرت
فما هي الا لحظة كنت بعدها ... طريحا تعاني خيبة الحظ والبخت
هو الحمق يردي ذا الحجا مامضى به ... الى مستقبل الركب باليسر والعنت
فماذا ترى لو كنت تسمح عن رضى ... برفقة ذاك الند بعضا من الوقت
واصبحتما قد بارك الله فيكما ... رفيقي معاش في اليسار وفي السحت(٢)
ترودان أرض الله وهي فسيحة ... وتستانسان العيش حلوا بلا مقت
وخير كثير والظلال وريفة ... وخضراؤها من بعد صحراء مرت(٣)
فان كانت النعجات تخلف ضغنة ... لدى كل ذي قرنين فاتك ما تأتي
فان نعاج الله كانت وفيرة ... وفيها رغاب كاشفات عن الكبت
أما كان يكفي أربع قد تحوزها ... . والعدل اذ يفتي
فيا كبش ان احزن فليس لانني ... رأيت فتى يمضي الى الهلك بالبغت
ولا أن ظلما قد أردت به أخا ... لتقذفه من بعد عزالي تحت
ولا أن فذا مثلك اليوم قد غدا ... صريع هوى ما عاد يجدى به لفتي
ولكن لأني قد رأيت بما جرى ... صراعا على الرغبات بالقسر واللت(٤)
صراعا جمعنا لا اختلاف بنا ولم ... تكن مرة أخلاق روح ولا نحت
يجمع منا القول فيما نرى به ... ملاذا اذا لم يؤذن القوم بالشت (٥)
فيا ليت أني بالغ منك مطلبي ... أيا كبش اردى حمقه الكبش يا ليتي
رأيت خصيما خانك القصد عنده ... فكنت بئيس الحال في الصد والهرت(٦)
فاصبح أهل الحيّ من بعد عزهم ... على أسوأ الاحوال من عارض الفوت(٧)
وأصبحت النعجات بعدك رملت ... وأقوانها في الارض تعمل بالنكت
وها أنت في قاع الحفير وقد هوت ... رغابك في قاع من الابد السكتي
وأمسيت للذؤبان لقمة سائغ ... ولا تستطيع الدفع بالصوت والصت(٨)
ولكن نزولا عند حكم مقدر ... على كل باغ غاله القدر المعتى

---

(١) الخت : الخسة والغدر . (٢) السحت : العسر والجدب او ما خبث من المكاسب .
(٣) المرت : المفازة او الارض لا نبات فيها . (٤) اللت : السحق والدق . (٥) الشت : امر شت أي متفرق . (٦) الهرت : الطعن . (٧) الفوت : الهلاك . (٨) الصت : الدفع يقهر .

القاهرة

حسين رشيد خريس



محمد العدناني

معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

هدأ من ثائره

ويخطئون من يقول : هدأ (بفتح فتضعيف) من ثائره . ويقول اللسان والاساس والمحيط ومتن اللغة والمصباح : ان الصواب هو : أهدأ (بفتح فسكون) ثائره (بفتح الراء) ، لان الفعل (اهدأ) يتعدى بنفسه .

ولكن الصحاح والوسيط ومد القاموس تقول : أهدأه : سكنه ، ويقال : هدأت (بتضعيف الدال) الصبي أمه : اذا جعلت تضرب عليه بكفها لينام ، واهدأته اهداء . وينقل التاج في مستدركه عبارة الصحاح نفسها ، دون ان تظهر الشدة على دال (هدأ) ، وارجح ان الشدة سقطت في الطباعة عن الدال ، لان الفعل (هدأ) لازم في جميع المعاجم ، وقول التاج : وتسكنه (بالهاء ودون شدة على الكاف) ، وقوله بعد ذلك : (واهدأته اهداء) يدل ان التاج يريد : هدأت (بتضعيف الدال) الصبي (بتضعيف الياء وفتحها) . لذا يحق لنا ان نلجأ الى المجاز ، ونقول : هدأت (بتضعيف الدال) ثائر القائد .

هدف اليه

ويقولون : هدف الى الفتك بالعدو . والصواب : كانت غايته الفتك بالعدو ، او : استهدف الفتك بالعدو (مجمع القاهرة) ، أو : جعل الفتك بالعدو هدفا له . اما الفعل (هدف) فمن معانيه :

١ ـ هدف اليه : دخل (التاج ومتن اللغة والمحيط) .

٢ ـ هدف اليه : اسرع (التاج واللسان ومتن اللغة) .

٣ ـ هدف للخمسين ، او اهدف لها : قاربها . (مجاز) (التاج والاساس والمحيط) .

٤ ـ هدف فلان : كسل وضعف (مجاز) (متن اللغة) .

٥ ـ أهدف اليه : لجأ (مجاز) (التاج واللسان والمحيط والصحاح ومتن اللغة) .

٦ ـ أهدف له الشيء (بضم الهمزة) : عرض له (التاج والاساس ومتن اللغة واللسان والمحيط والصحاح والمصباح) .

٧ ـ أهدف منه : دنا (التاج والمحيط ومتن اللغة) .

٨ ـ أهدف له : دنا (اللسان ومتن اللغة) .

٩ ـ أهدف على التل : أشرف (اللسان والمحيط ومتن اللغة والصحاح) .

اهداه كتابا

ويقولون : أهدى فلانا كتابا . والصواب : أهدى لفلان او الى فلان كتابا ، أي : بعث به اليه واتحفه به اكراما .

ومنه : أهدى الهدي الى الحرم : ساقه . والهدي (بفتح فسكون) : هو ما أهدي الى الحرم من الابل والشاء .

وأهدى العروس الى بعلها : زفها اليه .

هداه الطريق

ويخطئون من يقول : هداه الطريق . ويقولون ان الصواب هو : هداه الى الطريق . وفي الحقيقة يأتي الفعل هدى (أي : أرشد) متعديا دون حرف ، فتقول : هديته الطريق (بفتح القاف) ، وهذه لغة الحجاز . ونقول ايضا : هداه الى الطريق ، وهداه للطريق ، متعديا بحرفي الجر (الى) او (اللام) .



والفعل (هدى) من اكثر الافعال ورودا في آي الذكر الحكيم ، اذ جاء ١٣٧ مرة ، اما متعديا دون حرف ، او متعديا بحرف الجر (الى) أو (اللام) ، ففي الآية ٦٧ من سورة النساء أخذ الفعل (هدى) مفعولين . وفي الآية ٣٥ من سورة يونس ، جاء المفعول به الثاني مسبوقا بحرف الجر (الى) مرة ، وبحرف الجر (الباء) مرة اخرى .

في هرج ومرج

ويقولون : كانت أسرتا العروسين في هرج (بفتح فسكون) ومرج (بفتح فسكون) . والصواب : كانت الاسرتان في مرج (بفتح ففتح) وطرب ، لان معنى الهرج (بفتح فسكون) هو : الفتنة ، والاختلاط ، والقتال . أما معنى المرج (بفتح ففتح) فهو : القلق : والاختلاط ، والاضطراب ، والفتنة المشكلة ، والتهويش .

وقد سكنت الراء في (مرج) للمزاوجة مع (هرج) .

الهراوة

ويقولون : ضربه بالهراوة (بضم الهاء) . والصواب : ضربه بالهراوة (بكسر الهاء) ، وهي العصا ، وقيل : العصا الضخمة . والجمع : هراوى (بفتح الهاء وبالالف المقصورة) ، وهري (بضم فكسر فتضعيف) ، وهري (بكسر فكسر فتضعيف) .

نقول : هروته (بفتح ففتح) ، أهروه (بفتح فسكون) ، وهروا (بفتح فسكون) . ويجوز ان نقول : هريته : ضربته بالهراوة .

هطول المطر

ويقولون : هطول المطر . وليس بين مصادر الفعل (هطل) المصدر (هطول) . ففي المعاجم : هطل المطر هطلا (بفتح فسكون) ، وهطلانا (بفتح ففتح) ، وتهطالا (بفتح فسكون) : مطر متتابعا متفرقا عظيم القطر ، فهو هطل (بفتح فكسر) ، وهاطل . وهي هطلة (بفتح فكسر) ، وهاطلة . والجمع : هطل (بضم وتضعيف الطاء المفتوحة) .

تهافت على الخير

ويقولون : تهافتوا على الخير . والافصح : تهافتوا على الشر ، لان الفعل (تهافت) لم يستعمل الا في الشر والمكروه .

وفي الحديث : يتهافتون في النار ، أي : يتساقطون ، من الهفت، وهو السقوط .

ويقول صاحب اللسان : واكثر ما يستعمل (التهافت) في الشر .

وجاء في التاج : تهافت القوم تهافتا : تساقطوا موتا . وفي مستدرك التاج : تهافت الثوب تهافتا : تساقط وبلي .

وانا لم اعثر على أديب او شاعر يوثق بهما قد استعملا الفعل (تهافت) في الخير . ولكن هذا لا يعني ان استعماله في الخير خطأ .

طائرة هليكوبتر

ويقولون : سافر بطائرة هليكوبتر . والصواب : سافر بطائرة عمودية ، لانها تحلق عموديا وتهبط عموديا ، أو : سافر بطائرة مروحية ، لان في أعلى هيكل الطائرة مروحة .

هليـــون

ويطلقون على النبات المعروف اسم هليون (بفتح فسكون فضم) . والصواب : هليون (بكسر فسكون ففتح) .

أمـر هـام

ويخطئون من يقول : أمر هام ، ولا خطأ في ذلك ، لان هنالك فعلين : همه الامر ، يهمه (بضم الهاء) ، هما (بفتح فتضعيف) ، ومهمة (بفتح ففتح فتضعيف) : أقلقه وحزنه ، فهو هام . وهنالك ايضا : أهم (بفتح ففتح فتضعيف) الامر فلانا : أقلقه وحزنه ، فهو مهم (بضم فكسر فتضعيف) . وكلتا الكلمتين صحيحة .

يهمني ان تفعل كـذا

ويقولون : يهمني (بفتح فضم فتضعيف) ان تفعل كذا . والصواب : أود ان تفعل كذا . او : ارغب في ان تفعل كـذا ، لان الفعل (هم) هنا يعني : أقلق وأحزن .

اما هم (بفتح فتضعيف) بالامر يهم (بفتح فضم) ، فمعناه : عزم عليه . وهمه السقم : أذابه .

واهمه (بفتح ففتح فتضعيف) الامر : أقلقه واحزنه .

هيمنـة النسيـم

ويقولون : هيمنة النسيم ، أي : صوته الخفيف جدا . والصواب : هينمة النسيم ، اذا لجأنا الى المجاز، لان تاج العروس يقول: الهينمة (بفتح فسكون ففتح) هي الدعاء الى الله تعالى . بينما يقول الثعالبي في فقه اللغة : الهينمة شبه قراءة غير بينة . أما الفعل هيمن (بفتح فسكون ففتح) فمن معانيه :

١ ـ هيمن عليه : هيمنة (بفتح فسكون ففتح) : صار رقيبا عليه وحافظا .

٢ ـ هيمن عليه : شهد عليه .

٣ ـ هيمن الطائر على فراخه : رفرف .

٤ ـ هيمن الرجل هيمنة : قال آمين .

اما المهيمن (بضم ففتح فسكون فكسر) فمن أسماء الله الحسنى، ومعناه : القائم على خلقه باعمالهم وارزاقهم وآجالهم .

الهنـــاء

ويقولون : عاش فلان في هناء . والصواب : عاش في هناءة ، رغم ان ابن الرومي استعمل كلمة (الهناء) كثيرا في شعره ، وهو القائل :

ليس للمكثر المنغص عيش   انما عيش عائش بالهناء

والقائــل :

وكـذا كلما نويت لمـــولا   ك مزيدا ، اوتيته والهناء

كان وسيم هو الناجح

ويخطئون من يقول : كان وسيم هو الناجح (بضم الحاء) ، ويقولون ان الصواب : كان وسيم هو الناجح (بفتح الحاء) ، لان (هـــو) يسمى ضمير الفصل ، او ضمير العماد ، ولا محل له من الاعراب لانه حرف ، وسمي ضميرا لمشابهته الضمير في صورته .

وسمي ضمير فصل ، لانه يؤتى به للفصل بين ما هـــو خبر او نعت . ولذا يعربون الناجح (بفتح الحاء) خبـــر كـــان المنصوب . ويعربون (هو) ضمير فصل او عماد لا محل له من الاعراب .

وقد جاء في الآية ٣٢ من سورة الانفال : « ان كان هذا هو الحق من عندك (بكسر الدال وفتح الكاف ونصب القاف المضعفة في كلمة : الحـق) »

وجاء في الآية ١١٠ من سورة المائدة : « فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم » (توفيتني ، بفتح ففتح ففاء مضعفة مفتوحة ففتح ، كنت : بفتح التاء . الرقيب : بفتح الباء)

وقال سيبويه : « ان كثيرا من العرب يجعلون (هو) واخواتـه اسما مبتدأ ، وما بعده خبره » .

وحكي عن رؤبة بن العجاج ، الراجز المشهور ، وأحد أئمة اللغة الذين يستشهد باقوالهم ، والمتوفى سنة ١٤٥ هـ . انه كان يقول : أظن زيدا هو خير منك .

وحكي ان كثيرا من العرب كانوا يقولون : وما ظلمناهم ، ولكـن كانوا هم الظالمون . (راجع الجلد الاول من كتاب سيبويه ، صفحـــة ٣٩٥) .

لذا لا ارى اعراب ضمير الفصل خطأ ، ولكنني أرى الافصح ان نعامله كحرف خالص الحرفية كما عامله القرآن الكريم ومعظم أئمـــة النحـاة .

بـــلا هـــوادة

ويقولون : سنحارب الاعداء بلا هوادة (بضم الهاء) ، أي بلا لين او رفق او صلح . والصواب : سنحارب الاعداء بلا هوادة (بفتح الهاء). ويجوز ان نقول أيضا : بـــلا مهاودة (بضم الميم وفتـــح الواو) ، وتهويد ، وتهواد (بفتح فسكون) ، وتهود (بفتح ففتح فواو مضعفة مضمومة) .

مهـــووس

ويقولون عن الرجل المصاب بلوثة في عقله بانه رجل مهووس (بفتـــح فسكون فضم) . والصواب : رجل مهوس (بضم ففتح فواو مضعفة مفتوحة) .

والهوس (بفتح ففتح) : طرف من الجنون . ويعني (الهوس) عند العامة : الميل والرغبة والعناية الزائدة

الهويـــة

ويقولون : أضاع فلان هويته (بفتح فكسر فياء مضعفة مفتوحـة) . ويقصدون بالهوية حقيقة الشخص المطلقة ، المشتملة علـــى صفاتـه الجوهرية . والصواب : اضاع فلان هويته (بضم فكسر فياء مفتوحة مضعفة) ، لان هذه الكلمة جيء بها نسبة الى (هو) . امـــا الهوية (بفتح الهاء) فهي البئر البعيدة القعـر . والهوية (بفتـــح الهـاء) مذكرها : هو (بفتح فكسر منون) ، وهو المحب . وفعلـــه : هـــوي (بفتح فكسر) يهوى (بفتح فسكون ففتح) ، هوى (بفتـــح الهــاء وبالالف المقصورة) .

أهـــاجـه

ويقولون : أهاجه . أي : أثاره . والصواب : هاجه يهيجه (بفتـــح فكسر) هيجا (بفتح فسكون) وهيجانا (بفتح ففتح) وهياجا (بكسر الهاء) ، لان جملة : أهاجت الريح النبت ، معناها : ايبسته .

محمد العدناني

عانقي قلبي ومدي ساعديك

حبيبتـــي
أحب في عينيك هذا البحر
يسكرني من شفتيك العطر
يلفني .. يجذبني
يأخذني الى ربيع الزهر
أعانــق الاطيــار
وأرتوي من عسل الانهار
واتغنى فرحـا بالشعر

حبيبتـــي
اليك طار عاشق وحيد
لاذ بصدرك المفتوح
بقلبك السعيد
يعزف لحنه الجريح
يحاول العبور نحو عالم الزهور
والأســرار
يحاول الخروج ..
من مدائن الأحجار
فعانقي فؤاده الذي أحب
وعانقي في صدره الاشعار

حبيبتـــي
ها أنذا بين يديك
حمامة صغيرة تدور حول الأيك
وزهرة رحيقها في شفتيك
فعانقي قلبي ، ومدي ساعديك
تشرق في دمي الحدائق
وتطلــع الزنابــق
ويتغنى في ربيعي الحب
كما يغني زهر وجنتيك

حبيبتـــي
اليك أعبــر البحار
شراعي الفؤاد
وساعدي الاصرار
فانتظــري
فانني على جناح الريح آت
وفي عيون الشمس آت
وفي ضياء البدر آت
وفي الزهور في الربيع آت
انتظــري
فقد حملت في فؤادي عالما من الاسرار
هجرت يا حبيبتي برودة المحار
وجئت .. جئت يا حبيبتي اليك
أعصر قلبي العاشق المفتون في كفيك
انتظــري
فالعاشق الذي أحب آت
فالعاشق الذي أحب آت

رمضان الصبــاغ

المنصورة ــ مصر

منذ عهد سحيق متطاول في الزمان، كان هناك ملك عظيم ، رأى نفسه قد بلغ من العمر عتيا ، فدعا اليه اولاده الثلاثة وعرض عليهم رسما لغادة حسناء . وكان يبدو عليها الجمال بأبهى مظاهره ، وأجلى معانيه في ثوبها البسيط الناصع البياض ، الامر الذي جعل الامراء الثلاثة يشغفون بها حبا ، ويتمناها كل لنفسه . فتساءلوا جميعا : « من تكون هذه الحسناء ؟ » . فأجابهم الملك الكبير : « انها تدعى (السعادة) ، ومن يبحث عنها منكم ويحضرها معه هنا تكن عروسا له أزوجه منها واتخلى له عن العرش ليكون حاكما » فسألوا : « واين تعيش هذه ؟ واين يمكن ان نبحث عنها ؟ » .

— هذا ما لا يمكن ان اصرح به ، وليس من كتمانه بد . وعليكم ان تجدوا في البحث عنها .

فجمع الاخوة الثلاثة امتعتهم واستعدوا للرحيل . وقبل ان ينطلقوا ، استدعاهم الملك مرة اخرى وقال لهم :

— اولادي .. لقد كدت أنسى هذه الاعشاب . ان هذه اللفافة التي امامكم ، قد وهبتها لي أمي منذ عشرين سنة وظلت مهملة في مخزن القصر لم ينتفع بها احد منذ ذلك الحين ، وهي تحوي صنفا من الاعشاب يطلق عليه اسم « العطاء » ، تجلب الفرح لكل من اعطيتموه منها ، وتخفف عنه الالم ، وتذهب الحزن.

فضحك الابن الاكبر وقال: لست في حاجة لشيء من هذا ، فهو لن يساعدني في العثور على «السعادة». وفي حوزتي مال كثير وحلى نفيسة.

وهزأ الابن الثاني بها ايضا قائلا: ان هذه الاعشاب التالفة المتربة ليس في مقدورها مساعدتي في الحصول على « السعادة » وسأحصل عليها حتما باستخدام عقلي .

ولكن الابن الاصغر قال مبتسما: لست ارى كيف يمكن ان تقودني هذه الاعشاب الصغيرة الى « السعادة » ، ولكني على كل حال، سآخذها معي لاعطي منها كل من يصادفني في الطريق من المحزونين والمتألمين .

فانطلقوا معا . وبينما كانوا سائرين راوا فتاة فقيرة حيرى ، جالسة على قارعة الطريق ، يستر جسدها ثوب بسيط ، وعلى رأسها غطاء يتدلى على وجهها فيحجبه . فوقفوا يسألونها عن هويتها . فأجابتهم بحياء وخفر :

— من الناس من يسميني « القناعة » ، وما أنا الا فتاة رقيقة الحال .

فواصل الاخوان الاكبران سيرهما قائلين : علينا ان نحث



بقلم عبد العزيز جادو

الخطى اذا اردنا ان نجد السعادة ، فليس لدينا وقت نضيعه مع فتاة كهذه .

اما الابن الاصغر فوقف امامها وسألها : لماذا تجلسين هنا على قارعة الطريق ؟

فاجابت : انني أجلس هنا لكي استريح قليلا ، ولانعم برؤية الشمس وهي تشرق . ولكن ماذا تملك في جعبتك ؟

قال : ان هي الا اعشاب كالحة، كانت تمتلكها جدتي وتتصدق بها على الناس . اسمحي لي ان اقدم لك شيئا منها .

قصة

فشكرته ثم سألته عن وجهته ، فأجاب : سأطوف العالم للبحث عن « السعادة » ، وربما كان في استطاعتك ان تدليني أين يمكنني ان ابحث عنها . أغلب الظن ان بيننا وبينها بعدا شاسعا ..

فقالت الفتاة المعوزة : ربما لا تكون بعيدة كما تظن ، ولعلك تقابلها في بعض هذا الطريق .

— اذن فلأتحرك . واذا كنت ستذهبين في طريقي ذاتها يمكنك ان تمتطي جوادي ، فلعل صحبتك تهون علي وحدتي وبعض ما الاقيه .

وبدآ رحلتهما ، فكان هو يسير على قدميه ، وهي تمتطي صهوة جواده . وبعد قليل لقيهما رجل مقعد يسألهما شيئا من المال فقال له الشاب : « سأعطيك بعضا من المال ، وسأمنحك ايضا بعضا من اعشابي لعلها تذهب عنك الحزن والالم » ثم سأله من أين أتى ، فأجابه المقعد بأنه قدم من « مدينة الحياة » . فسأله الامير : الم تسمع بفتاة هناك اسمها «السعادة»؟ فأجابه المقعد بانه لم يسمع بمخلوق بهذا الاسم !..

وبعد ذلك صادفا أناسا عديدين على طول الطريق ، وراح يوزع من المال والاعشاب على كل من يقابله من المحتاجين ولقد قالوا له جميعا بانهم قادمون من « مدينة الحياة » حيث الحزن والالم ، ولم يعرفوا احدا اسمه « السعادة » . فصاح الشاب: سأذهب الى هناك وسأتبرع بهذه الاعشاب العجيبة . فانه يبدو لي انها الشيء الوحيد الذي يصرف عن المحزون احزانه ، وعن المتوجع آلامه . وربما يمكنني بعد ذلك ان اعثر على « السعادة » ان لم يكن قد وجدها أخواي بعد .

★

بعد اعوام عدة ، عاد الابن الاكبر

الى قصر أبيه ، راكبا عربة مصنوعة من الذهب يجرها ستة جياد مطهمة ، وبجانبه غادة هيفاء . قال لابيه الملك : لقد بنيت قصرا منيفا وزينته بالحرير والسندس والدمقس . ووشيته بالذهب الخالص والدر النفيس . ولقد اقمت حفلات فاخرة ، وزينات باهرة ، ودعوت اليها كل الفتيات اللواتي في البلاد ، وليس بينهن من يطلق عليها « السعادة » . ولكن هذه الفتاة الحسناء واسمها « اللذة » قد صادفتني في طريقي فأتيت بها معي لتكون عروسي وتكون ملكة البلاد .

و « اللذة » كانت جميلة المنظر ، بهية المظهر ، عليها ثوب جمع كل الوان قوس قزح . ولها ضحكة عالية مرحة ترن في ارجاء القصر .

ولكن الملك الكبير العاقل هز راسه قائلا : انها ليست مثل « السعادة » ولا بد انك ستملها يوما . وراح يترقب حضور ابنه الثاني .

وعاد بعد قليل ابنه الثاني راكبا عربة فخمة من الصلب المصقول ، وبجانبه فتاة رشيقة . قال لوالده : لقد شيدت مخازن عظيمة ومصانع هائلة . وابتعت جميع الحبوب التي في البلاد . وارسلت مراكبي عبر البحار . ورجال الارض قاطبة يعملون من اجلي . فهم يطيعون امري ، وينفذون طلبي . ومع ذلك لم اجد تلك « السعادة » ، ولكني اتيت بهذه الفتاة واسمها «النجاح» لكي تكون عروسي ، ولتقاسمني المملكة .

تلبس العروس « نجاح » رداء من المخمل الارجواني والقرمزي ، مزركش بنسيج من الذهب ، طويلة وسمراء وجميلة ، ولكن وجهها يبدو عليه الجمود والكبرياء ، فلما تضحك او تبتسم .

قال الملك مبتئسا كئيبا : انها لن تكون ملكة ، انها متكبرة ، وربما تطغي كبرياؤها على رعيتي .

وكاد اليأس يتسرب الى قلبه لولا بصيص من الامل اخذ يعلل به نفسه بعودة ابنه الاصغر .

لقد مر وقت طويل قبل ان يصل الابن الصغير . ولم يكن راكبا عربة فخمة ولا جوادا اصيلا ، ولكنه كان يقود حمارا عجوزا اغبر تمتطي ظهره فتاة يبدو عليها العوز .

ـ كم انا آسف يا ابني العزيز لطول غيبتي . ولكني كنت مشغولا في « مدينة الحياة » اذ كنت اهب من يقابلني تلك الاعشاب النافعة . والحق اقول لك اني لم اجد فسحة من الوقت لابحث عن « السعادة » .

فسأل الملك وهو يشير الى الفتاة الفقيرة المتواضعة : ومن تكون هذه ؟..

ـ انها تسمى « القناعة » ، ولقد اصطحبتها معي منذ بدء رحلتي . وهأنذا آتي بها كي تكون عروسي .

ان كلمات كهذه لا بد انها تبعث الاستغراب والدهشة في بلاط الملك ..

ضحكت الاميرة « لذة » ضحكة عالية رن صداها في ارجاء القصر ..

وسحبت ربة الثراء « نجاح » ذيل ردائها حتى لا يمسه ثوب الفقيرة ، وراحت تنظر اليها بازدراء .

عندئذ تقدمت الفتاة الفقيرة الى الامام ، ورفعت الغطاء عن رأسها ، والنقاب عن وجهها ، وطرحت عن كتفها رداءها الرث ، ووقفت امامهم بثوبها البسيط الناصع البياض . فبان جمالها ، وظهرت مفاتنها ، وكانت قبلة الانظار جميعا .. فصاح الملك العظيم : يا لله !.. انك انت « السعادة » ذاتها .. فقالت وهي تبتسم : هي أنا ..

وركع الابن الصغير تحت قدميها هاتفا : ما كنت احسب انك في حوزتي كل الوقت .

فلم يفهم اخواه وتساءلا : أين وجدك ؟ اننا تعبنا في البحث عنك اكثر مما تعب .

فأجابت : لقد كنت عند باب القصر حين كنتم خارجين منه للبحث عني !..

الاسكندرية **عبد العزيز جادو**

بقايا ذكرياتي

دع الزمان المرير ... يفعل ما يفعل
وخلنا للمصير ... بناره نشعل

مرت حياتي سدى ... زادي بها الذكريات
لا شيء غير الصدى ... والشوق والامنيات

وانت عني بعيد ... تنأى ولله تحفل
تثملني بالوعود ... وقد نأى الأمل

سئمت عمري الجديب ... سئمت حتى السأم
وعدت مثل الغريب ... ملقى بوادي العدم

لا النفس تسلو هواك ... ولا فؤادي ارعوى
متى عيوني تراك ... لنستعيد الجوى

بغداد **عبد الخالق فريد**



خليل مطران

خليل مطران

بقلم محمود الحسنية
امين سر جمعية المكتبات اللبنانية

* * *

اسرته :

والده عبده مطران من بعلبك كان تاجرا واسع الثراء يملك المزارع العديدة : ومن رجال الاعلام المثقفين . تزوج بملكة الصباغ وهي ذات ثقافة عالية تحسن قرض الشعر ، تنحدر من اسرة فلسطينية عريقة نزحت الى لبنان هربا من بطش الجزار اثناء ولايته على عكا . (مجلة المقتطف عام ١٩٣٩) . فانجبت له الخليل عام ١٨٧٢ المولود النبيل .

نبوغه الباكر :

تجلت علامات العبقرية ومعالمها على قسمات وجه ذلك الجسم النحيل في سن مبكرة ، تأثر الخليل بامه الاديبة الشاعرة ، فمال الى الشعر وحفظ مقتطفات من ديوان ابن الفارض وابي تمام والمتنبي والبحتري ، ولشدة شغفه بها كان يرددها احيانا في نومه ، مما كان يقلق شقيقته المجاورة لسريره ، وكثيرا ما شكت امرها معه الى والدها ، وكان الوالد يطمح بان يكون ابنه تاجرا فكان يقول له : « برضاي عليك لا تمارس صنعة الشعر ، فما رأيت شاعرا على جلده قميص » (مجلة المصور ١٩٤٩ عدد ١٢٩٢) فيجيب الابن : « ليس الامر بيدي يا والدي » .

تحصيله للعلم :

تلقى خليل مطران علومه الاولية ، في الكلية الشرقية بزحلة ، ونال بجده وبراعته كل تقدير منها ، ولما اتم دروسها الحقه ابوه في الكلية البطريركية في بيروت ، فحذق العربية فيها على يد معلمها علامة عصره الشيخ ابراهيم اليازجي ، ومال الى نظم الشعر ، وحذق الفرنسية على يد معلم فرنسي ، وانكب على مطالعة الادب الفرنسي واعلامه ، فتأثر به وبتياراته الفكرية وشغف بروح الحرية ، واثرت هذه الثقافة في شعره وايقظت لديه الحس الوطني والابداع الجمالي .

مقاومته للحكم العثماني :

نظم كثيرا من الشعر ضد استبداد سياسة السلطان عبد الحميد، وكان ينشد مع رفاقه في النزهات نشيد المارسلياز الفرنسي رمز الحرية والنضال ، تحديا للاستعمار العثماني ، فقبضت عليه السلطة العثمانية واتهمته بالتحريض على الثورة ثم اطلقت سبيله ، وفي احدى الليالي الصائفة لعام ١٨٩٠ في ساعة متأخرة من الليل اطلق مجهولون النار على غرفته فثقب سريره ونجا من الموت لانه لم يكن ساعتئذ فيها . واتقاء للبطش العثماني وبتدبير من اهله رحل خليل مطران الى باريس واطلع فيها عن قرب على التيارات الادبية المعاصرة ، وطبع المسرح الفرنسي في ذهنه صورا عديدة وآمالا كبارا . واتخذ المدرسة الرومانسية منطلقا لشعره المتجدد . ولكن اقامته في باريس لم تدم طويلا ، لانه فيها وجه نفسه يعمل مع جماعة من حزب تركيا الفتاة التي يناهض سياسة السلطان عبد الحميد ، فانغمس مجددا بهذه السياسة ولكنه خشي مغبة استرساله فيها ومن اذى اعوان عبد الحميد المنتشرين في باريس ، ففكر في النزوح الى اميركا الجنوبية، حيث العديد من المهاجرين اللبنانيين ، فاخذ يتعلم اللغة الاسبانية ولكنه عاد وغير فكره وسافر الى مصر ، وكانت حينئذ ملجأ احرار البلاد العربية ينزلون بها فرارا من بطش العثمانيين .

خليل مطران الصحافي :

في عام ١٨٩٢ وصل خليل مطران الى الاسكندرية ، وكان نعي صاحب الاهرام سليم تقلا يتردد في كل مكان ، فرأى من الواجب ان ينظم قصيدة في رثائه ، فذهب الى الكنيسة حيث احتشد كبار القوم وممثلو الدول الاجنبية ، ولما انتهت الصلاة انتظر معتقدا انه في تلك الساعة سيتبارى الخطباء والادباء والشعراء في ذكر مناقب الفقيد ، ولكنه لم يجد احدا ينهض الى المنبر ليودع الراحل الكبير ، وكان في الكنيسة منبران احدهما كبير لا يصعده سوى المطران ، فاخذت حمية الشباب خليل مطران واسرع وارتقى المنبر الكبير ، فجذبه عنه احد الحراس ولكنه تمالك قوته وجذب نفسه منه ، فتطلعت اليه الجماهير فوجدوه شابا ضئيلا ، فولوا وجوههم شطر باب الكنيسة عندئذ صاح قائلا : اين خطباؤكم ؟.. اين ادباؤكم ؟.. اين شعراؤكم؟. ايدفن هذا الرجل العظيم الذي خدم الوطن والعلم والادب والصحافة دون ان يودعه خطيب او شاعر بكلمة ؟.. توقف الجمهور واشرأبت اليه الاعناق من جديد فانتهز هذه الفرصة والقى قصيدة نالت الاعجاب والتقدير .

ثم ما لبث ان طلب اليه بشارة تقلا شقيق سليم تقلا ، ان يقبل التحرير في الاهرام فقبله ، واثناء ذلك كتب ودبج بقلمه المقالات الرائعة ، وعالج بارائه السديدة مشاكل البلاد الاقتصادية والسياسية، فكان يتابعها الجمهور بارتياح ، فبرزت مواهبه الصحفية وكلمته اللغوية .

وفي عام ١٨٩٣ انتدبته الاهرام لمرافقة الخديوي عباس في زيارته الى الاستانة . ولما رجع من رحلته انتدبه بشارة تقلا ليكون مراسلا للاهرام في القاهرة ، وعمل خليل مطران في تحرير الاهرام ، والمؤيد ، وغيرهما مدة ثماني سنوات ثم عن له ان يشتغل في الصحافة لحسابه الخاص فانشأ في عام ١٩٠٠ المجلة المصرية نصف شهرية ، ساعده في تحريرها رفيقه وصديقه ابراهيم سليم نجار . وفي ٦ شباط سنة ١٩٠٣ اصدر العدد الاول من الجوائب المصرية ، يومية ، شعارها جريدة سياسية ادبية مالية تصدر كل يوم صباحا .

وجاء في افتتاحية العدد الاول :

« اما بعد فقد اصدرنا الجوائب على ظن ان لمثلها بين الصحف المتقدمة طريقا مندوحا وبابا مفتوحا ، اذ اننا نتوخى لها ان تقف منهن حيث لا مشايع لها الا من كان المدح لعمله حقا يؤدى . ولا مخاصم

الا من كان عمله لا يستوجب حمدا ، فهي تنظر من ثم الى الخدمة المقضية او الضالة المنشودة ، بعين نزاهتها لا بعين حزبهـا ، وتروم استقامة امر البلاد وسلامة احوال العباد ، بـرأي صدقها لا بـرأي صحبها . وستكون ان شاء الله لغتها سهلة محررة باقلام فريق مـن ابرع الكتاب الناشئين على مكارم الاخلاق وخلوص الطوية ... »

بهذه الروح النضالية الواعية ، المتفتحة علـى الخير والجمال ، افتتح مطران العدد الاول من الجوائب . والجوائب كان اسما لصحيفة احمد فارس الشدياق ولصحيفة اخرى صدرت اثناء حملة نابوليـون بونابرت على مصر .

مطران يعرف بالصحافي الاديب :

عرف خليل مطران الصحافي والصحافي الاديب ، قال : يمكـن الجمع بينهما ، فالصحافي الاديب هو الذي تعلـم تعليما واقعيا ، وتمكن من لغته واخذ حظا من البيان ثم زاول الصحافة ، وتصرف في الموضوعات تصرفا لا ينسى معه الاساس الذي قام عليه علمـه وادبه ، من اتقان اللغة وحسن الديباجة ، ومراعاة الاصو لبدقة . واما الذي دخل الصحافة بعلم بسيط لتلقط الاخبار وبه فطنة خاصة لفهم بعض الامور التي تتعلق بالجماهير ، فهذا لا نستطيع ان نقول انه اديب .

شعـره الجديـد :

مهد مطران لدعوته الى التجديد بمقالات نشرها في المجلة المصرية، والجوائب وغيرهما ، وفي عام ١٩٣٣ كتب بمجلة الهلال عن تلك الجهود التي بذلها في سبيل التجديد ، وما لقيه من عنت ومناوأة ، قائـلا : « اردت التجديد في الشعر ، وبذلت ما بذلت ، من جهد من عقيـدة راسخة في نفسي ... ليكون شعرنا مرآة صادقة لعصرنـا في مختلف انواع رقيه ، اريد كما تغير كل شيء في الدنيا ، ان يتغير شعرنا ، مع بقائه شرقيا ، مع بقائه عربيا ... »

وهذه الشاعرية العميقة الغور والقرار ، المتوازنة بين القديـم والجديد والمتفتحة على العالم ، جعلته قبلة انظـار شعراء العالـم العربي ، تقديرا واعجابا فمنحوه لقب شاعر القطرين (١) اتجه مطران في مدرسته الجديدة الى الشعر التمثيلي ، والقصص ذات الطابـع الدرامي ، الذي يتصل بالحياة الانسانية ومنازعها ، كقصة « الطفلة الثرية التي عشقت طفلا فقيرا وظلت تذكره حتـى مماتها » وقصـة « ابنة الامير التي عشقت حارس ابيها » وغيرهما ... وهذا الاسلوب الدرامي الجديد ، لا عهد للعربية به ، قبل مطران بشهادة رائد الادب العربي طه حسين ، فقد عبر به تعبيرا صادقا عن احاسيسه ، واحـل الشعور الدقيق محل الخيال ، وقدم شعرا مبتكرا في المعاني والافكار واحتفظ لشعره باوزانه القديمة ، ولـم يخرج عنهـا الا في المزدوج والموشح .

وهكذا اعتمد مطران في شعره على الخيال المبتكر فصور الحقائق المرئية وغير المرئية في الطبيعة وفي الحياة . وشعره سواء أكان وصفـا في طبيعة جمالية ام في تأملات انسانية ، هـو مليء بومضات فكريـة مشرقة ، وكل الصور التي انتجها خياله الخصب ، وقدمها للناظـر بمحاسنها ورموزها الخفية ، تشير الى النبوغ المقيم فيه والى كـل شائق ورائق من فصيح اللغة العربية . انظر اليـه يناجـي الغروب ويضفي بشعوره المتدفق على عظمة الطبيعة .

يا للغروب ومـا مـن عبـرة   للمستهـام وعبـرة للرائـي
اوليس نزعا للنهار وصرعة   للشمس بين مآتـم الاضـواء
اوليس طمسا لليقين ومبعثا   للشك بـين غلائـل الظلمـاء
اوليس محوا للوجود الى مدى   وابـادة لمعالـم الاشيـاء
حتى يكون النور تجديدا لها   ويكون شبه البعث عود ذكـاء

استمع اليه يصور بؤس الفلاح ويدعو لرفع مستواه .

طف بالقرى تلق الوفا بهـا   منهم رقيق الحال والمعدم

وشظف العيش الذي ورده   احلى لـه لـو انـه علقـم
واخشن الاثواب مـا يكتسى   واردأ الالـوان مـا يطعـم
واخبث الامـراض تنتابـه   من حيث لا يدري ولا يفهـم
هـم ثروة مفقودة للحمـى   فعلموهـم علمـوا عامـوا

تأمل وصفه في دخان سيجارة :

دخانهـا يؤنسني راقصا   مبتسما والجـو بـاك عبوس
آنـا اراه كالوشاح انطوى   ثم اراه شبـه تـاج العروس
يحمل مـا تعجز عن حمله   شم الرواسي من هموم النفوس

ما اروع وصفه للكرنك عند بزوغ الشمس :

ثمل الكرنك الوقور اصطباحا   فتراءى في المـاء غـير وقـور
ومشى النور في حناياه يغزو   ما نجا مـن شنائت الديجور

مطران يوقف اصدار الجوائب :

بالرغم من ان مطران وجد في عمله الصحفي اقبالا ومؤازرة مـن الجمهور ، فقد ابدى امتعاضه مـن صعوبة جمع الاشتراكات مـن المشتركين ، مع انه كان يعتمد في تحرير صحيفته على بعض الاعلانات التي تقاضى اجر نشرها آنذاك وكان ذلك بمثابة مورد جديد للصحافة العربية ، ومما كان يردد اثناء تذمره قائلا : لكن نوع المؤازرة الـذي كان لا يلائم طبعي ... ومما يمض النفس ان دافـع الاشتـراك فـي ذاك الحين ، كان يعد نفسه صاحب فضل في حياة الجريدة ، وفـي كل ما يبلغه صاحبها من جاه او مال او كرامة ، ... وقد كنت امتعض واحس بي ميلا الى العمل لرزقي في غير الصحافة ، حينما يعود الجابي الي فينبئني ان فلانا المشترك قال كذا وان فلانا قال كذا ... وصرت اتربص الفرصة الاولى حتـى سنحت ... فوهبت جريدتـي وبعت مطبعتي ، وانصرفت الى ممارسة الاعمال الاقتصادية وكان ذلك عـام ١٩٠٤ .

وايقاف اصدار المجلة ، والجوائب ، بعدمـا تألقتا في سمـاء المجتمع العربي كان خسارة لمطران وكارثة للصحافة والادب .

وبالرغم من انصراف مطران الى ممارسة الاعمال التجارية فكان من وقت الى آخر ، يبعث بمقالاتـه الشيقة ونفحاته الشعرية الـى الجوائب ، والوطن ، واللواء ، والزهور ، ولكنها لم تكن لتعوض او تسد فراغا .

مطران وكبار ادباء وشعراء عصره :

ويعتبر مطران في نظر احمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ، وطـه حسين ، واسماعيل صبري ، وشوقي ضيف رائـدا مـن رواد الشعر الموضوعي في اللغة العربية . تأثر مطران بتيار الادب العربي وبث من ثقافته في الشعر العربي روح العصر ، واحتفظ بقوة وجزالة ومتانـة شعرنا الاصيل وبمقوماته ، بما انتجه من روائع القصائد المطولة فـي القصص التي يمزج فيها بين الوصف والدراما والتصوير. كما يعتبر شاعرا رومانسيا ارسى قواعد الرومانسية في الادب العربي الحديث، وهو احد ثالوث جبابرة الشعر العربي في عصره، شوقي، ومطران، وحافظ، وقد ذكر هذا الثالوث امير البيان الامير شكيب ارسلان في ديوانه الباكورة، بقصيدة ميمية بعث بها الى صديقه محمود سامي البارودي في عـام ١٩٠٢ وكان حينئذ في طبريا شاتيا عند ابن عمه الامير امين مصطفـى ارسلان قائمقام تلك الناحية :

وسلامي عـلى الخليل وشوقـي   وعلـى حافظ بديـع النظـام
الثريـا التـي قدمت عليهـا   بضئيل السهى وشبه القتـام

خليل مطران والامير شكيب ارسلان :

مطران صديق وعشير صبا للامير شكيب ارسلان ، نـاب عنه في المهرجان الذي اقامه شعراء المهجر العربي في مدينـة نيويورك عـام ١٩٢٧ تكريما لاحمد شوقي حيث بايعوه امارة الشعر ، ومما جـاء في قصيدة الامير شكيب المؤلفة من ٤٨ بيتا .

ناد القريحة ما استطعت نداءهـا   ان الحقـوق لتقتضيك اداءهـا

١ـ ثم شاعر الاقطار العربية .

مهما ينل منها الجمود فان من   اعجاز احمد ان يفجر ماءها
فاسعد بعرش امارة الشعر التي   القت اليك لواءها وولاءها
وتهن وابق لامة عربية   لا زلت قرة عينها وضياءها

وقد ذكر مطران الامير في عدة مناسبات ادبية ، بكل اجلال وتقدير ، ولخص بلاغته وشعره في مجلة الزهور ، قائلا : حضري المعنى بدوي اللفظ يحب الجزالة حتى يستسهل الوعورة فاذا عرضت له رقة والان لها لفظه ، فتلك زهرات ندية ملية شديدة الريا ساطعة البها كزهرات الجبل . نبغ منذ طفولته في الشعر ، وكان ابكر الفتيان في نشر ديوان له ، وجاء ديوانه في وقته آية . غير انه لم يلبث ان ترك الشعر وانصرف الى الترسل ، فحبس فيه ما اوتيه من العبقرية ، وهو في مذهبي امام المترسلين . على انه قد يدعو داع من النفس او من الطوارىء فينظم ، ينظم كما ينثر فياض الفكر غير تعب ، لكن نظمه يحمل في عهده الاخر اثرا من نثره .

وقد صدر مطران وقدم لديوان الامير جامع اشعاره من ايام الصغر الى ايام الكبر ، الذي طبع بمطبعة المنار في مصر عام ١٣٥٤ – ١٩٣٥ باشراف العلامة منشىء المنار الامام محمد رشيد رضا . ومما جاء في هذه المقدمة التاريخية الغالية الحالية قوله : هذا ديوان امير البيان ... اي حاجة الى تسمية صاحبه ، بعد هذا النعت الذي نعته به الاجماع في الامة العربية ؟ ... اتيح لي ان اصدره بهذه الكلمة ، وفي النفس داع من الود القديم وباعث من الاعجاب والاكبار، فانتهزت الفرصة السانحة مغتبطا بها ، ولا ابرىء اغتباطي من اثر فيه للاثرة ، فان حظي من الفخر بهذا التصدير اضعاف حظ الصديق الكريم ... وختم تصديره : ... وان من ينظر جملة الى صنيع الامير شكيب ، ليجد بحرا زاخرا في الادب ، ليست اللؤلؤات المنظمة فيه ، الا شقائق اللآليء المنثورة منه في كل جانب .

مدرسة مطران الرومانسية :

من الذين تأثروا بشعر مطران وبنزعته الدرامية العربية ، وخرجوا من حدود الشعر الغنائي الذاتي التقليدي الى اجواء الشعر القصصي الاجتماعي ، والى الاستمتاع بجمال الحياة ، وافتخروا بانتمائهم الى هذه المدرسة الرومانسية : علي محمود طه ، ابراهيم ناجي ، خليل شيبوب ، بشارة الخوري ، احمد زكي ابو شادي ، اديب مظهر ، يوسف غصوب ، الياس ابو شبكة ، ايليا ابو ماضي ، الياس فياض ، نقولا فياض وغيرهم ، وقد رفع لواء هذه المدرسة شعراء الرابطة القلمية في نيويورك ، ميخائيل نعيمة ، رشيد ايوب ، فوزي معلوف ... واصدر خليل شيبوب قصته الشعرية « الفجر الاول » واهداها الى خليل مطران اعترافا بفضله صدرها بقوله :

الى نادرة العصر   وعلم النظم والنثر
مجدد الصناعتين   ونابغة القطرين

خليل مطران

ووصف اسماعيل صبري شعر مطران بقوله :

قم ادر يا خليل شعرك فينا   قرقفا يشرب النهى وعقارا
انت مطران دين شعر جديد   فتن المسلمين قبل النصارى

ثم قال : ان خليل مطران مبتدع وسباق الى الجديد في شيء من التوفيق لانه معنى بتثقيف نفسه ادبيا وعلميا ويتصل بالدنيا من عدة جهات ، فهو شاعر وعالم ... وصبري زميل وصديق لمطران وهو القائل :

يقول للعلم الخفاق في يده   فيء من الارض ما تختار يا علم

البيت الذي توقف عنده مطران وخاطب صبري بقوله : « قد اسكرتني وسبقت الشعراء بستماية عام » .

وقال شوقي : « صديقي خليل مطران صاحب منن على الادب ، والمؤلف بين اسلوب الافرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب .

وقال المنفلوطي : بياض معاني مطران في سواد عجمته كالماس في الفحم ، اكبر الناس نفقة استخراجه فاغفلوه . يكاد يلمسك خياله ، ويسمعك رنين اوتار قلبه .

وقال حافظ ابراهيم : « خليل مطران لا يلتمس القافية ولا يتكلف القول ، يصف فيصيب نص الشيء ، يكتب فلا يخطىء عين القرطاس ، قوافيه لا تطلب ومعانيه لا تقلب ، اذا شاء انفر بشعره الشجر ، واذا شاء دهده به الحجر ... اذا شاء فاخر بانفه الف شاعر ، وخرج يشمخ به خروج الظافر » ...

وكتب الدكتور طه حسين مقالات عديدة عن خليل مطران في الاهرام ، والرسالة ، والثقافة ، وغيرها من المجلات والصحف ، وقرض لشعره في كتابه « حافظ وشوقي » والقى عنه بعض المحاضرات في الاذاعة ، وفي كلية الاداب بجامعة القاهرة . ويعتبره بانه علم المقلدين كيف يرتقون بتقليدهم عن افناء النفس فيمن يقلدون ، وعلم المجددين كيف ينزهون انفسهم عن الغلو الذي يجعل تجديدهم عبثا ، وابتكارهم هباء ، وعلم اولئك وهؤلاء ان للغة اصولا يجب ان تبقى ، وحرمات يجب ان ترعى ، وحقوقا لا ينبغي ان تضيع » .

ومطران في نظر الدكتور طه حسين زعيم الشعر العربي المعاصر ، واستاذ الشعراء المعاصرين دون استثناء . ولا غرو فشعر مطران مجمع الصور وملعب الخيال ، ونفسه كالمدسة الحساسة ، ينطبع عليها كل ما يمر بها ، جعلته شاعرا مرهف الحس ، يتجلى بالنزاهة والمحبة والصدق والشجاعة والوطنية ، صور بها اوضاع مجتمعه الاقتصادية والسياسية والادبية ، دون ان يتزلف او يوارب او يخاتل او يداهي او يحابي ، او يخاف وعيد حاكم .

وهو القائل :

انا لا اخاف ولا ارجي   فرسي مؤهبة وسرجي
فاذا نباني متن بر   فالمطية بطن لج
لاقول غير الحق لي   وهذا النهج نهجي
الوعد والابعاد ما كانا   لدي طريق فلج

فشله في العمل التجاري :

اما الاعمال التجارية والمالية التي تفرغ لها بعد العمل الصحفي فلم تكن موفقة ، فقد خسر في عام ١٩١٢ بالبورصة وبالمضاربة كل ثروته ، وبعد ذلك عين سكرتيرا مساعدا للجمعية الزراعية الخديوية .

تكريم مطران :

في عام ١٩١٣ اقيمت للخليل حفلة تكريمية في دار الجامعة المصرية ، كانت سوق عكاظ ، تلاقى فيها ادباء وشعراء مصر وسوريا ولبنان والعراق والمغرب على الاشادة بمواهبه التي تعدت الشعر ، والصحافة ، الى الادب المسرحي ، وعلم الزراعة والاقتصاد والتاريخ .

مؤلفاته

– ديوان الخليل اربعة اجزاء .
– ترجم بالاشتراك مع حافظ ابراهيم الموجز في علم الاقتصاد تاليف بول لروي بوليه خمسة اجزاء .
– ترجم الروايات المسرحية لشكسبير ، وشيلر ، وفكتور هوغو، وكورني وراسين .
– ترجم بالاشتراك مع يوسف نحاس التاريخ الطبيعي تاليف فكتور ديري .
– ترجم كتاب الاحوال الزراعية في القطر المصري ، الذي طبع اثناء حملة نابليون بونابرت على مصر تاليف المهندس الفرنسي ب.س. جيرارد .
– ترجم كتاب تعليم الارادة ، تاليف جول بايو .
– الف كتاب مرآة الايام في ملخص التاريخ العام .

وهذا التراث القيم الذي تركه للخزانة العربية جمعه بفضل سعة معلوماته في اللغتين العربية والفرنسية ، والمامه بالانكليزية والتركية .

مطـران ولبنـان :

رغم اقامة مطران في مصر ، فان محبة وطنه كانت ملازمته كظلــه فزاره عدة مرات ، وغناه في كثير من المناسبات الوطنية وغيرها . وفي جماله السحري يقول :

لله يا لبنان ما ابهاه من جبـــل ... يمشي به الحسن تصويبا وتصعيدا
في كل موقـــع طرف آيـة عجب ... تكفي المنى وتريح الذهن مكـدودا
ترابه يخـــرج الازهـــار مونقـة ... وماؤه قرقـف ينشـي الاماليـدا

ويقول ايضا :

لبنان مـــا زالت سماؤك مطلعـا ... للفرقـد اللمـاح بعـد الفرقـد
يـا منبت الارز القديـم ومربضا ... يـوم الحفاظ لكـل ليث اصيـد

وفي عام ١٩٢٤ زار الخليل لبنان وانشد في الجامعـــة الاميركية ملحمته الخالدة « نيرون » .

وفي صيف عام ١٩٢٩ زار بعلبك بصحبة صديقه حافظ ابراهيم وقال في قلعتها :

خرب حارت البرية فيهـــا ... فتنـــة السامعيـن والنظـــار
اهل فينيقيا سلام عليكـــم ... يـــوم تغنـى بقيـة الادهـار
لكم الارض خالدين عليهــا ... بعظيـم الاعمـــال والآثـــار
خضتم البحر يوم كان عصيا ... لم يسخر لقـــوة مـــن بخـار

وفي عام ١٩٣٤ عين رئيسا للفرقة المصرية للتمثيل المسرحي ، وابان ذلك زار لبنان عدة مرات ، واخر زيارة له كانت في عام ١٩٤٦ وكـــان يشكو من داء النقرس .

اليوبيل الذهبي لمطران :

في عام ١٩٤٥ اجتمع رهط من كبار الادباء وعلية القوم، واقاموا له حفلة تكريمية في النادي الشرقي ، وشكلوا لجنة تعنى بتكريمه وبجمـــع تراثه الادبي .

وفي عام ١٩٤٧ برزت فكرة اقامة اليوبيل الذهبي لتكريمه فاجتمعت اللجنة التكريمية واعيد تنظيمها برئاسة خليل ثابت وعضوية كل مـــن : عباس محمود العقاد ، انطوان الجميل ، فكري اباظة ، كامل الشناوي ، ادجار جلاد ، احمد امين ، نقولا كحلا ، ابراهيم عبـد القادر المازني ، غالب ابو النصر اليافـــي ، موريس ارقش ، فؤاد صروف ، جميـــل الرافعي ، روفايل بطي ، سمعان طراد ، يوسف توتنجي ، محمد يحيي الزبارة ، رزق الله حمصي ، ادوار غرزوزي ، فؤاد شاكر ، صموئيـــل عطية سكرتيرا ، والياس مرشاق امين صندوق . وباشرت اللجنة مهـام اعمالها وقررت : ١ ـ اقامة مهرجان كبير تدعى اليه البلدان العربية ، ٢ ـ صنع ثلاث مداليات تذكارية من الذهب الخالص تهدى لملك مصر ، ولرئيس الجمهورية اللبنانية ، ولخليل مطران ، ٣ ـ صنـــع مداليات برونزية تهدى لجميع المشتركين في حفلة يوبيله الذهبي ، ٤ ـ طبـــع مؤلفات وديوان الخليل بالمال الذي تبرع به اصدقاء الخليل ، وما يبقى يصرف في انشاء مؤسسة علمية يطلق عليها اسمه .

وهكذا في يوم السبت بتاريخ ٢٩ اذار سنة ١٩٤٧ اقيم له مهرجان ادبي كبير في دار الاوبرا الملكية ، شمله ملك مصر برعايته ، قدمت لـــه فيه اوسمة رفيعة من مصر وسوريا ولبنان ، وتلاه حفلات تكريمية اقيمت في القاهرة والاسكندرية وفي كثير من النوادي العربيـــة في الوطن العربي وفي ديار المهجر .

مطران في يومـه الاخير :

في اول تموز من عام ١٩٤٩ نعت مصر ومحطات الاذاعات العربيـــــة والعالمية وفاة خليل مطران شاعر الاقطار العربية بعـــــد اشتـــداد داء النقرس عليه .

ومما قاله في ساعاته الاخيرة :

انا اعتبر نفسي الان قد انتهيت ، وان كنت لا ازال اعيش ... وكل ساعة احياها ليست من حقي ، انها سرقة موصوفة !... اه ايها الطبيب اريد ان اخلص ، فقد انتهيت وخرج طبيبه مـــن غرفته وتوسل الى ابن عمه حبيب مطران ان يقنعه بضرورة تناول الدواء ، فدخل عليه حبيب ورجاه في ذلك فقال : « اذا كان في المي فائدة لكـــم فساحيا ولا سيما انني اتلقى امرا منك وانت اليوم قائدنا ورئيسنا ، فساطيع لانني لم اتعود مخالفة الامر ... » وبموته غيب الردى الشاعر الملهم ، صاحب الخيال الخصب والعقل النير والعلم الغزير والحس الوطني ، واقتـــم الافق المترامي الاطراف ، وحبست الريشة الساحرة التـــــي صورت الطبيعة الضاحكة ، واروقـــه المعابـد ومقاصير المدرسة الرومانسية ، والاماني القومية والمشاعر الانسانيـة ، وتوقفت قريحـــة سيالة رتلت الشعر طوال نصف قرن ، بشعر هو اقرب الـــى الترانيم الرخيمـة ، فايقظت القوى الخيرة ، وكشفت عن مواطن الجمال وابرزت الدوافـــع الوطنية ، والمعاني النبيلة حتى غدت وكأنها تمشي في ركاب الخليل .

وطنيـــة مطـران :

ما اكثر قصائد مطران التي تبرز فيهـــا الروح الوطنية ، وهـــو القائـــل :

داعـــي الولاء اذا دعانـــي ... سمعـــا لـــه فـــي كـل آن
ومســـرة باشـــق مـــا ... يرضي البـــلاد وان شجانـــي
يابى الهـوان دمـي وفـــي ... عـــز الحمى اهوى هوانـــي

مقدمـــة ديوانـــه :

ومما ورد في مقدمة ديوانه الذي طبع عام ١٩٠٨ واعيد طبعه عـــام ١٩٤٧ : « ليست هذه الكلم التي احتواها ديواني باجزائه الاربعة هي كل ما نظمته بل هي كبقايا السفينة الغريقة او كالقطع السالمة مـــن الاثار العتيقة ... ولم اكن مبتكرا فيما صنعت فقد فعل فصحاء العرب قبلي ما لا يقاس اليه فعلي ... » ورد على منتقديه بان شعره عصري: فقال لهم ، نعم هذا شعر عصري !... وفخره انه عصري ، وله علـى سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر ! ... وامنيتي الكبـــرى بان ادخل كل جديد الى شعرنا العربي بحيث لا ينكره ، وان استطيع اقناع الجامدين بان لغتنا ام اللغات ، اذا حفظت ففيها ضروب الكفاية لتجاري كل لغة قديمة وحديثة .

شهـــرة مطران الادبية :

وهكذا فقد جمع مطران المجد من جميع اطرافه ، من علمه الغزير، من استاذية الشعر والصحافة ، مـــن مدرسته الرومانسية ، مـــن منظوماته الاجتماعية ذات الدعوة الانسانية الخيرة ، مـــن قصائـــده الوطنية ، من كل مؤلفاته . ومما قاله الاستاذ الكبير عباس محمـــود العقاد في يوبيله الذهبي :

ذمم اليراع قضيتهـــا ... في كـــل ميـدان دعـــاك
ليس النظيم او النثير ... فصار مـــا استرعى هواك
ان الجوائب والمجلـة ... في الصحافـــة شاهـداك

ويعترف العقاد بان مطران علم من اعلام الشعر في العصر الحديث.

وقال الدكتور احمد زكي ابو شادي في يوبيله الذهبي :

من لي بآيات دنيا الفن لا ادبـي ... حتى يمجـد فني شاعر العـرب

غـــزل مـــطران :

والغزل لدى مطران يتميز بجودة المعنى ودقة الوصف :

الحب روح انت معناه ... والحسن لفظ انت مبناه
والانس عهد انت جنته ... واللفظ روض انت معناه
ارحم فؤادا في هواك غدا ... مضنى وحماه حميـــاه
تمت برؤيتك المنى فحكت ... حلمـــا تمتعنـــا برؤيـــاه
يا طيب عيني حين آنسها ... يا سعد قلبي حين ناجاه

والحب عنده مصدر كل امر عظيم فيقول :

والحب الزم للارواح مـــا عظمت ... وقد يكون لها ادعى الى العظـم

وشغف مطران بحب صديقة له ، بثها كل عواطفه ، ونظم فيهـــا اعذب القصائد وارقها ، ومما قال :

اسكريني علـــى الدوام وافنـــي ... مهجتي ادمعـــا وعزمي حريقـــا

مـــن شعـــره الضاحك :

قال في مفاكهة ارسلها الى صديقه اسعد نقولا ، وكان قد ذهب

القوة في العدم

أي سر بات يغلي في دمي ... ذلك الصائر نحو العدم
قوة خارقة قد أودعت ... بين ذرات ، وفي مجرى دمي
تشعل النار اذا ما عصفت ... نزوة فيها ... وفيها ترتمي
شيدت صرح حضارات ... وكم ... هدمت ما شيدت من قدم
قوة بناءة ... هادمة ... يا لها من قوة من عدم
فجرت آياتها ما فجرت ... في الثرى ، او في رءوس القمم
وانثنت تكشف اسرار الدنى ... في فضاء الكون بين الانجم
وتناهت فاذاها تعتلي ... لاكتناه السر في المستبهم
وتجلت فكرة رائعة ... روعة التاريخ عند الهرم
وسعت في ما بنته دأبا ... لخلود ... ثائرات الهمم

أتراها لخلود خلقت ... والمنايا رصد من أمم

البصرة ـ العراق

سالم علوان الجلبي

مع اسرته يصطاف في لبنان :

واقرأ سلامي لاخي باسيلي ... واشفعه بعد الاذن بالتقبيل
وقل له اوحشتنا كثيرا ... واوحش الاربع والقصورا
فليشرب الصحة شرب الماء ... ولينشق السرور في الهواء
ولياتنا بسل ماء سلسل ... وطرد خيش من هواء ممتلي

وبعث بمفاكهة الى محجوب ثابت قائلا :

طبيب بالمعارف لا يضاهى ... اديب غير خال من مجون
اذا ما هز لحيته خطيبا ... يقول الخصم يا ارض ابلعيني

اجمل مراثيه وابلغها :

رثاء ابراهيم اليازجي ، مطلعها :

رب البيان وسيد القلم ... وفيت قسطك للعلى فنم
نم عن متاعبها الجسام وذر ... في جنب ما للميت من عظم

رثاء احمد شوقي ، من قصيدة قوامها ١٠٧ ابيات مطلعها :

عجبا اتوحشني وانت ازائي ... وضياء وجهك مالىء سودائي
لكنه حق وان ابت المنى ... انا تفرقنا لغير لقاء

رثاء حافظ ابراهيم من قصيدة ١٦٨ بيتها مطلعها :

عظم الله فيك اجر الضاد ... وبنيها من حاضر او بادي
راع آفاقها نعيك حتى ... لكأن النعي بوق التنادي (١)

وقال في رثاء جبرائيل تقلا :

لا تنكروا الانات في اوتاري ... لم يبق لي في العيش من اوطار
ذهب الاحبة بعضهم متعقب ... بعضا وكان السبق للاخيار

وقال في رثاء صديقه الامير شكيب ارسلان ١٠ ـ ١٢ ـ ١٩٤٦ :

طفى الصباح بعيني الالهام ... وتغمد اللالاء جفن ظلام
وكان شمس العبقرية كفنت ... بعد ازدهار شعاعها بقتام

ومن رثائه في سعد زغلول :

ما من عظيم سوى سعد اتيح له ... في الناس حيا وميتا ذلك المظم
لمصر عهد بالاستقلال مفتتح ... فداه عمر بالاستشهاد مختتم

وقال لمن وفد يساله كيف حاله بعد وفاة والدته :

وفدوا يسالونني كيف حالي ... لو دروا ما جواب هذا السؤال
ما حياتي بعد التي هي منها ... ما كفاحي فيها وما آمالي

قال مخاطبا حافظ ابراهيم في حفلة تكريمه سنة ١٩١٢ :

يا شاعر النيل جار النيل بالشيم ... وحاك اطياره بالشدو والنغم
في ضفتيه وفي تغريد صادحه ... ما في نظيمك بين الوحي والكلم
وفي معانيك من ارواح جنته ... اشفى النسيمات للارواح والنسم
مصر الحضارة والاثار شاهدة ... مصر السماحة مصر المجد من قدم

وقال مخاطبا احمد شوقي :

ضمنت لهذا العهد ذكرا مخلدا ... وجددت للاسلام معجز احمدا
اسحرا ترينا ام صحائف كلما ... نقلبها وجها نرى عجبا بدا

وقال في وصف وعود السياسيين لطلاب الوظائف :

فسد التوسل في البلد ... هيهات يصدق من وعد
ترجو وتلحف سائلا ... اما المجيب فلا احد

صورة مطران بدار الكتب الوطنية :

الى جانب رسوم مشاهير الادباء والاعلام اللبنانيين ، التي تزدان بها قاعة المطالعة بدار الكتب الوطنية ، رفعت صورة خليل مطران في عام ١٩٦٩ بموافقة وزارة التربية الوطنية ، في حفلة متواضعة اقتصرت على بعض الاهل والاصدقاء من رجال الصحافة والادب .

وخليل مطران الذي لاقى كل تقدير في حياته ومماته ، هو عملاق الادب والشعر والصحافة ، والكاتب المجلي في معالجة الشؤون الوطنية والاجتماعية ، ومن نخبة لبنانية لا تتصف بالكثرة العددية ، ولكنها تضم افذاذا لهم على لبنان والعالم العربي اكثر من خلة ومنة .

واليوم مع مرور مئة سنة على مولده يذكر ادباء لبنان والعالم العربي ، باجلال وتقدير الشاعر العبقري .

محمود الحسنية

١ ـ اي يوم القيامة .



بقلم السيدة ضياء قصبجي

تناثرت قطع صغيرة ، على سطحها نقر صغيرة ولهـا سطح مصقول ، وكذلك احرف عالية تشبه أحرف تلك النقر التـي تسببها نيـازك مكروئية صغيرة عندما تصطدم مـع الصخـرة . اودعتهـا جعبتـي المقرية .

ما زلت اغرز قدمي في تربة القمر واتنقل من مكان الى مكان ، حتـى أوه .. يا للروعة .. غـدا الحلم حقيقة . اني هنا على سطح القمر ، ادق أرضه بقدمي ، وارتـع فيـه وامرح . رحت أتجول فيه واصف مجاهيله .

كل شيء يختلف عما يدور علـى سطح الارض ، قمرية القمر تختلف جذريا عن ارضية الارض . فأرض القمر هائلة مخيفـة ، والسكون موحش مرعب ، والرهبة الالهيـة منتشرة في كل مكان وكل ذرة . امـا التراب ، فهش تغوص فيه القدم .

خطوت الخطـوة الاولـى ، واذا بجسمي اطلق في الفـراغ والغازات الغريبة ، فارتفعت عن أرض القمر وكأني تخلصت من وزني ، وبدوت في خفة الريشة .

فراغ وسكون ، ووحدة موحشة تحتل النفس احتلالا مدمرا .

تذكرت صديقي ، آه لـو كـان بجانبي الآن لنعمت بشـيء مـن الطمأنينة والتسلية ، ولو كان معنا حفنة مـن فستق العبيـد لطقطقنا الحبات ، والقينـا بالقشـور علـى سطح القمر بالذات .

لم لم اصطحبه جولتي الاكتشافية الرهيبة التي ستحدث في عالم الارض ضجة ما بعدها ولا قبلها ضجة ... (ضرب من حب الذات والشهرة) .

نظرت الـى السماء فوجدتهـا واضحة ، لا سحب ولا غيـوم ، ولا غبار ، تحجب عـن عيني الرؤية . رميت بنظري الـى الفضاء البعيد ، وجدت كوكبا صغيرا لا يبدو منـه اكثر من نصفه ، انها أرضنا . تلك الارض الطيبة التي تسمح للكائنات الحية ان تعيش فيها .

كنت اتنقل برشاقة الغـزال ، وانظر الى آثار حذائي المطبوعة على سطح القمر .

وصلت مكانـا اسمه (فوهـة مشكلين) فجلست فيه القرفصاء ، واثقلت نفسي بالاثقال ، مخافة ان اطير ويلقى جسدي في عالم الفضاء المجهـول النهايـات ، المترامـي الاطراف ، اللامحدود ، واللامتصور .

غادرت مكاني بعد ان حصلت على كتلة من مسحوق سطح القمر فيها قطع صغيرة مختلفة الالوان ، وبهـا جسيمات كرويـة ، مضيئة تراها العين . وعبأتها في جعبتي القمرية .

وانحدرت الى وادي (هاباتيا) ، واد مخيف ، قليل الضوء ، وبسرعة وضعت في جعبتي القمرية كتلـة صغيرة جدا ، وعليها رشاش مـن مادة زجاجية ، كأنها قطرة من مادة منصهرة ، سقطت عليها ، وترششت ثم جمدت .

تابعت جولتي الصامتة ، البديعة ، ووصلت مكانا اسمه (فوهة ملتكه) وحصلت على قطعة مـن صخـر قمري غائصة في مسحوق من تربة القمر ، وحول هـذه الصخـرة وصلت (بحر الهدوء) .

واول ما لفت انتباهي واثارني ان علما امريكيا على عصا ، قد دك في تراب القمر . اذهلني هذا لحظات ، ووددت لو اقتلعه بدافـع الغيرة ، لكني لم افعل بل انـي احسست بتقدير لذاك الانسان الذي وضعه ، لكن احترامي يكون اكيدا وبالغـا فيما اذا كان قد وضع مكان العلم اشارة فقط تدل علـى هبوطـه ، فالقضية قضيـة انتصار انسان البشرية بكاملها ، وليست قضيـة انتصار انسان اميركي فقط .

حصلت على قطعة صخرية قمرية مستقرة في التربة التي هـي فيها ، ولونها غير لون ما حولها ، وعلـى سطحها تتراءى عدة نقر ولها سطح زجاجي ، وضعتهـا في جعبتـي القمرية وغادرت بحر الهدوء .

اقتعدت سطح القمـر ، وجعلت انبش في ترابه ، واحفـر في ارضه حفرة ، باحثا عن كائن حي ، دودة حمراء تنزلـق ، حشرة تعيش في جحر لها ، خلـد فنان مبـدع في تشييد بيته ؟ ربما اعثر على خلد قمري له شكل يختلف عن خلـد الارض ، فأعود به الـى الارض ، لتتخذ منه ادوات الاعلام والجرائد ، والمجلات والسينما ، والتلفزيون ، اداة للدعاية والشهرة . فيبـدو خلدي القمري هذا مشهورا اكثـر من شكسبير نفسه .

وانا في جلستي هـذه ، حيث لا شجرة تتمايـل وريقاتها علـى نسيمات لطيفات ، ولا مياه رقراقة تنعكس علـى صفحتها الصافيـة الوجوه ، وضوء القمـر ، ناجيت القمـر ..

أيها القمر ... لقد خذلتني . كل سني عمـري السابقـة ، كنت اعجب بجمالك ، وكنت اضم حبيبتي في ظل نورك المفرح ، الـذي يوضح الاحباء ويخفي الاعداء .

اذكر ، كم مـن الليالي امضيتها سابحا في نورك ، ادخن نارجيلتي ،



على حافة بحر تصطخب امواجه في مكانها ولا يبلغني منهـا الا الرذاذ المنعش فقط ، أهكذا أيها القمر.. أنت على هذا الشكل ؟ خال مـن الجمال ؟ ومما يشابه الجمال ؟ هل أنت غيري الى هذا الحد ، فتهب جمالك لكوكب آخر وتحرم نفسك ؟ انك حقا بعكس انسان الارض ، انه يحرم الجميع من الجمال ويستأثر به وحده . أنت اذن رائع الصفات .. يا قمر .

توغلت في الحفر والتنقيب في سطح القمر ، لم اعثر على شيء . اللهم الا رطوبة تزيد شيئا فشيئا ، كلما امعنت في التوغل .

عجيب أمر الانسان الحالي ، يهدر الذهب الارضي بحثا عن تراب القمر ...

أحسست بالضيق ، تعبت قدماي من جلستي القرفصاء ، اذا لم اجد شيئا هنا في هـذا المكان سأنتقل الى منطقة قمرية اخرى .

تحللت من اوزاني ، وبحرية بسيطة جدا ، لمست ارض القمر بقدمي ، فطرت الى مكان آخر ، تماديت في البعد ، وسرت خطوات عديدة ، قذفت بي الى وادي (سيدوندر) . اصابني خشوع مسربل بخوف . اغتبطت . غدا سأحكي ما رايت ، وسأضع حجيراتي في كفة ميزان ، وفي الكفة الاخرى جواهر ، سأبيعها بثمن باهظ ، وسأصير ثريا جدا . فأهل الارض تواقون الى قشة استجلبها معي من سطح القمر . المجهول دائما منطلق الارادات ، والاكتشافات ، والبحوث العلمية.

عبأت جيبي من ذرات المنطقة السابقة ، والآن سأعبىء هذا (الخرج) بقطعة من هذه الصخرة جلست في سفح الصخرة الهائلة السوداء ، اخرجت ازميلي ورحت ادق على طرف منها ، يا للدهشة ؟ اني لا اسمع صوت الطرقات المزعجة ؟. بل اني لم اسمع اي صوت خلال رحلتي . ماذا هل صمت آذاني ؟ لا اعتقد . ولكنه لا هواء ينقل اهتزازات الصوت . يا للروعة ..؟ هنا على سطح القمر يستطيع الانسان ان يعمل نجارا ، وان يستمر في عمله في اثناء النوم ، دون ان يزعج احدا ، تستطيع ايضا سيارات المرور ان تستعمل (بوقها) بحرية ، دون كتابة مخالفات ، ولكن ما فائدة بوق السيارة اذا لم يكن له صوت محذر .؟ لست ادري ؟ لا شك ان الحياة اذا كانت ستحدث هنا بعد عدد مجهول من السنين ستكون مصطنعة ، وليستطبيعية،



السيدة ضياء قصبجي

●

كل شيء فيها بدراسة وتفكير ، وتغيير ايضا ، ترى هل سيسكن انسان الارض سطح القمر ؟ ربما ؟ لكن لماذا هذا التعب والشقاء .

هل نبذتنا الارض ؟ هل بصقتنا الى القمر ؟. هل ضاقت بنا ؟

لا هناك لم تزل مساحات خيرة ، في تربتها دودة تتزحلق وتنساب ، وذبابة تطير وتنطلق ، وفراشة تحط على زهرة ، ما زال على سطح الارض مكان للسكن خال من الناس ، يمكن ان يتحول الى جنة ، فلم البحث عن المصاعب ، ؟ حقا ان الانسان العصري لا يرتضي الحياة سهلة دون عناء ، فلم يعد الانسان كسولا كما كان قبل الف عام ، حيث كان يستضيء بضوء شمعة ، ويتغذى بالخبز وما آتت الارض من اكل .

ان الانسان العصري يحب المسؤولية والتعب ، والوصول الى الامور التي لا تصدق ، يعجبني الانسان العصري ، أنا مثلا ، ودعت زوجتي الطيبة ، وقبلت اطفالي الصغار ، وصممت رغم المخاطرة بحياتي الغالية ان ازور القمر . هذا الساحر المتكبر .. هذا الجميل المتعفف ، ان الانسان في العصر الحاضر يملك قوة مخيفة ، بامكانه ان يحطم الارض ، ويقتل الملايين . لكن ، ما نفع القوة اذا تحولت الى شر مستطير ؟ اللعنة على القوة المنحرفة ناحية الشر ، والبركة للقوة التي تتوجه ناحية الاختراع ، واكتشاف غياهب الكون .

كنت ما زلت أطرق بازميلي على نتوء من صخرة هائلة سوداء ، لكن قوتي كانت تتلاشى ولا تصوب باكملها الى راس الازميل الذي يلامس نتوء الصخرة ، كانت قوتي تضيع ، واحس بيدي خفيفة ، وازميلي محطم القوة .

فجأة ... لاحظت من بعيد شيئا يتحرك متجها نحوي ، أصابتني رعشات الخوف ، لصقت نظري فيه ، ورايت خطواته متسعة ومتزنة ومسرعة باتجاهي ، ارتجف قلبي بين جنبي ، فأنا مطمئن البال الى ان القمر خال من المخلوقات بأسرها ، فما هذا الشيء الغريب الذي لم ار مثله في حياتي ؟ ها هو يقترب مني فيكبر حجمه اكثر فأكثر ، اضطربت ، ألقيت بازميلي.

انه ليس بانسان ، فلا يوجد انسان غيري على سطح القمر .

انه ليس بحيوان ، فهو منتصب

القامة .

انه ليس بنبتة ، فلا يوجد نباتات تسير وتخطو .

انه ليس بحجر ، فالحجر لا يتحرك . فماذا يكون ترى ؟

اقترب كثيرا ورأيت انه لا يرتدي شيئا من الثياب ، لكن كل اعضاء جسمه ذات تركيب يختلف عني . رأسه كبير جدا ، ويساوي حجم جسمه كله ، ليست له كتفان ، بل تخرج من جذعه يدان طويلتان جدا ، احسب انها ستلطمني بعد قليل ، قدماه ضخمة هائلة ، تذرع ارض القمر بقوة ، وتنتهي بقدمين ضخمتين كذلك .

اقترب اكثر ، لم يبق الا خطوتان ويبلغني ، الرحمة ! ما أشد سرعته ؟ فعلى الرغم من بعد المسافة يكاد يلمسني ، ان الارض والظلمات ، لا تخيف مثلما تخيف الروح التي تحرك شيئا ذا جسم ، استدرت راغبا في الانعتاق والهرب ، واذا بحاجة عنيفة تهزني وتهز القمر من تحتي ، عرفت ان هذا الشيء المتحرك يعاقبني على هربي منه ، وعدم ترحيبي به . توقفت ، وابتسمت له ابتسامة صفراء ، نظرت الى وجهه، عيناه كحليتان ، كل عين بحجم الكف ، فمه ثغرة مخيفة مظلمة ، دون شفاه ودون اسنان ، ولا يتوسط وجهه انف .

احسست اني في ورطة كبرى ، ومأزق رهيب ، قلت له في وجل :

ـ انا انسان من الارض ، احب أن يزور كوكبك .

ـ اخرس . عليك اللعنة .

ـ ارجوك لا تكن شديد القسوة علي ، لقد أتيت بهدف شريف جدا .

ـ ارني ايها اللص ماذا تعبىء في جيبيك ؟ ..

ـ حفنات من تراب القمر .

ـ سارق نذل .. ولماذا تسرق قمرنا ؟. هل وصل بكم (انتم اهل الارض) الطمع الينا ، ونحن في كوكبنا .

ـ كلا لست بسارق ، انما مكتشف .

ـ انتم اهل الارض تستعملون العبارات الزائفة لاخفاء نواياكم العكرة ، انتم بارعون في التمويه واخفاء المعاني .

ـ وماذا تعنيك بعض ذرات من سطح القمر ؟؟.

تجاهل سؤالي وتابع :

ـ أنت من اي بلد على سطح الارض ؟.

ـ أوتعرف تاريخنا ؟.

ـ طبعا ..

ـ انا عربي .

صرخ :

ـ عربي ؟ الا يعنيك اذن ان اليهود جمعوا الذرات بأرض كبيرة اسمها فلسطين ، وسرقوها تحت عناوين ، واسماء ، وكلمات كاذبة .

ـ الحق معك .. اني آسف ، اخرجت ما في جيبي ونفضته ، جلجل وصرخ :

ـ عليك اللعنة .. لماذا ترمي التراب هنا ؟؟.

ـ اني اعيده لك .

ـ انه مقدس في مكانه . اعده الى مكانه وارحل . هيا .

ـ الا تسمح لي أن آخذ معي بعض عينات من سطح القمر ..؟ الا تساعدني ؟. قال بعنف وصوت راعد :

ـ انتم أهل الارض لا تساعدون بعضكم بعضا ، وتكرهون بعضكم بعضا ، فكيف تطلب المساعدة من اهل القمر ؟

ـ من فضلك . من تكون انت ؟.

قال بصوت مجلجل :

ـ انا حي اقطن في المنطقة التي جلست تدق فيها بازميلك .

ـ لم لم تستضفني ؟.

ـ لا اريد اناسا من سطح الارض .. ان سمعتكم سيئة لدينا ..

ـ ليس كلنا ..

ـ بل كلكم ..

ـ ليس كلنا ..

ـ بل كلكم ..

ـ ليس كلنا .. زمجر بأصوات انتقلت الى نفسي بطريقة التأثر .

ـ اتعاندني ؟ ايها الخنزير ؟. ورفع يده الغريبة ، وزمجرت عيونه الكبيرة ، ثم هوى بكفه على وجهي بصفعة جعلتني اهتز اهتزازا بالغا. اتبعها بصفعة اخرى واخرى ، احسست به يسحقني ، حتى وجدتني اصرخ بقوة :

ـ دعني .. دعني . ايها القمري؟

اهتزت الصور . واحسست ان اجفاني كانت مسدلة ، كستار اسدل امام ممثلي مسرحية .

جر الستار . فتمثل الواقع امامي .. اين انا ؟. اين القمري ؟؟ لا شيء ؟

استفقت مذعورا ، وجلست من بعد استلقائي ، واغفاءتي القصيرة .

وكان مذيع اخبار دمشق يقول :

هيوستن . تواصل مركبة الفضاء ابولو ١٥ سيرها نحو القمر، وتأكد الآن الاستمرار بالرحلة بعد نجاح اشعال المحرك الرئيسي فيها كما كان مقررا تماما .

حلب **ضياء قصبجي**

تائه

ابحث في القفار
عن منقل السمار
ابحث في الرياح
عن عزبتي عن دار
عن آهة
انستها في الليل
في الديار
عن جرح رابية
بلا ازار
عن دمعة غصت بها
عيني وعن اشعار

محردة ـ سورية **فريد لوش**

لسع الجمر

مهداة الى الذين تنفسوا في العراء

●

سامية كيالي القبيسي

●

الافق الجميل ـ البرازيل

الاكليل والشمعة وانسانيتي
حكايـة في الغربـة
مزقت عيني
لا ، لن تبصر روحي
وهاتين العينين
ولن تدرك حكاية عمري
حكايتنا حيث ولدنـا
والسماء تمطر يأسا
تحت سحاب يكسوه الغبار
خلف حيطان مغلقة
كالسرداب العتيق ، كالضباب
والعاصفة تغني بؤسا
بطنين الذباب
هناك علمونا كيف نداري حبنا
كيف نكـره ونخاف
ومـاتـوا

بلسعة نحلـة ، بلذعـة جمرة ،
ما تالذين زرعوا في رؤوسنا
الغاب الاصفر .. الجفاف !
وخرجت الى العراء اتنفس
انتظـر العيـد
ويدق الناقوس الحزين في موكبي
فتحترق مشاعل النـور
والظلام لا يخمد انفاس الدخان
ولا يمحو ظلال الكآبة من افقي
كآبتي ، اعتقيني
لا تجرد من نفسي ،
لاتنفس في غربتي
اكليلي ملون ، وشمعتي مضيئة
سابـدل ثوبي ،
وارقص حيث اشتهي !

بيروت .. ها أنا اعود اليك
كأنني انا انت .. وانت أنا
بيروت .. أسير في شوارعك ضريرة
اكليلي شوك ، وشمعتي حرقة
وفي صدري التراب
اتلمس الحائط البني ، اغوص في السراب
بيروت .. قصيدة في فمي
أتنكرينني .. واغترابي على كل باب
ليغفر لي من تركت لاتنفس في العذاب



حكاية مجانين

مجموعة قصصية ـ تاليف الدكتور عبد السلام العجيلي ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ ١٩٧٢

كنت أصدرت عام ١٩٧٠ دراسة نفسية عن الوصف القصصي عند الاديب القاص عبد السلام العجيلي ، حاولت فيها اصطناع مبادىء علم النفس العام ، وبحوثه لتبين الجذور النفسية في أدب العجيلي وتجربته .. فاظهرت في الاساس ان هذا الادب القصصي البهي القوي الذي يتحف به العجيلي قراءه هو ثمرة هواية ، وطبع أصيلين ، يخدمان فن الكلمة من زاوية الايمان بالوظيفة الاجتماعية للادب والفن..

ثم أعيدت طباعة الكتاب ، عام ١٩٧٢ ، مع مقدمة ضافية اكدت فيها على هذه الهواية الصادقة والالتزام الاجتماعي ، وعلى الخصوص الواقعية التي يستميح العجيلي معها الخيال في حدود الامكان الانساني .. وقد اطلعت صديقي العجيلي وقتها على المقدمة فعلق على هذه النقاط بالذات ، وانه واقعي يستميح الخيال وانه بالفعل يكتب عن هواية ، ولكن ليس معنى الهواية انه لا يحمل الادب محمل الجد ، على العكس ، انه حين يكتب يضع كل نفسه في ما يكتب او انه يتركه .. الخ ..

واليوم ، يتحفنا الدكتور عبد السلام العجيلي بمجموعة قصصية جديدة هي « حكاية مجانين » ، تحوي على ست قصص منها اثنتان مطولتان ، هما ايامي في جزيرة شاور ، ثم حكاية مجانين ، ثم اربع قصص قصيرة هي الحاجان ، ثم الجدب والطوفان ثم فيفا ثم الورم ..

انها في الحقيقة ربح جديد للادب القصصي السوري والعربي ، وعلى الخصوص أنها نتاج أصيل غير متكلف ، تكاد تقول هي نتاج البديهة وفيض الخاطر نتاج الموهبة التي تصرف القول القصصي في كل موضوع فتخضعه لها كما تشاء ، وفي كثير من الاحيان دون التقيد بالقواعد المتعارف عليها في القصة او النقد الادبي ..

وبالفعل لفت نظري في هذه المجموعة الجديدة تقنيتها القصصية، أي بناء هذه القصص المختلفة والتي هي قصص واقعية من الحياة ، قصص وقائع من الاسفار والمجتمع والنفوس ..

وذلك ان التقنية التي تهيمن على قصص العجيلي الى الآن ، هي تقنية السرد الوصفي التحليلي المعهودة ، والتي تقابل اليوم تقنية اللامعقول ، او تقنية الهمش الشعري ، وغيرهما ..

في حين التقنية في هذه المجموعة الجديدة تقنية منوعة ، فهي تقنية الحديث النفسي الفردي والاعتراف كما في قصة « الحاجان »، او هي تقنية الحوار ، كما في قصة « الورم » او هي تقنية المشاهد المرصوفة ، كما في قصة « الجدب والطوفان » ناهيك بتقنية الوصل بين قصتين ، او اكثر كما في قصة « فيفا » ، او تقنية الاستطراد الالف ليلي ، كما في قصة « حكاية مجانين » او ايضا اصطناع عدة اساليب كما في عدة قصص فيها ..

واذكر هنا بالمناسبة ، قول الرائد القصصي الكبير المرحوم فؤاد الشايب في رواية « وداعا يا افاميا » [illegible] شكيب الجابري ، وذلك حين زرته في مكتبه في مجلة المعرفة بدمشق ، لآخذ المقدمة التي كان تكرم وكتبها لكتابي « ادب القصة في سورية » في مطلع عام ١٩٦٦ .. فسألني عن رأيي في « وداعا يا أفاميا » فقلت له أنني كنت الى جانب دراسة الكتاب ، كتبت نقدا فيها نوهت بجرأتها .. فقال لي ، حقا هي جريئة ولكن ألا ترى الى القمش والتقطيع فيها ؟!.. ان الوصل بين الاجزاء فيها متكلف ، يحشر القاص فيه نفسه ، وكأنه الحكواتي الذي ينقلنا من مشهد الى آخر ، وهذا ضعف في التاليف القصصي والروائي !.

تلك نقدة شهيرة للرائد القصصي الكبير المرحوم فؤاد الشايب ، لا تزال عالقة في ذهني ، وتدل على ذوق هذا القاص الكبير في اسلوب الوصل بين الاجزاء القصصية في القصص والروايات .. وهو اسلوب شائع اليوم نجده عند العديد من القصاصين ومنهم العجيلي ..

وفي هذه المجموعة نجد هذا الاسلوب في القصة المطولة المسماة « ايامي في جزيرة شاور » والتي تجمع الى اسلوب الرسائل ، اسلوب المحاضرة ثم اسلوب الوصل بين اجزاء وصفية واخرى تحليلية ، وثالثة تفنيدية .. والقصة هي بالاحرى (قصة ـ محاضرة) ، وهو اسلوب شيق ، يحسن العجيلي استغلاله ، فيودعه اخبار اسفاره وعظاتها ، وبراعة فنه القصصي ومتعته ، وهي تروي خبر انقلاب أبيض حدث عام ١٩٦٤ في احدى جزر الخليج العربي ، اسمها شاور ، وأطاح بحاكم الجزيرة الشاب يحيى بن حديد ، وهو صديق للعجيلي ، فيقصى هو وضيفه العجيلي عن الجزيرة ..

ونجد فيها مثلا، بعد التقديم برسالة تعرف بزيارة القاص للجزيرة: « .. كنت أتهيأ لان اروي لصديقي فيها اشياء مضحكة مما مر بي في الجزيرة ، ولكن نهاية تلك الاشياء كانت هي المرة » . ثم نجد « .. على اني لن استطرد ، وأبدأ فاصف لكم صديقي الشيخ يحيى فاقول » . ثم نجد « .. عن زيارتي الاولى التي استغرقت اياما قليلة لن اتحدث كثيرا » ثم « .. كما قلت لن احدثكم عن زيارتي الاولى طويلا . يكفي ان اصف لم الوليمة التيّ اقامها لي الشيخ سالم ثاني يوم وصولي » ثم نجد « .. هكذا كانت جزيرة شاور في اوائل الخمسينيات ، اما في عام ١٩٦٤ فكانت شيئا آخر » . او « .. اول ما طالعني من جزيرة شاور عن بعد ، وانا مقبل عليها مئذنتان بيضاوان » او « .. لم اعرف الا بعد ذلك ان الشيخ دحمان ، وأمه أيرانية لا يهتم بما كنت اعرف ان صديقي الشيخ يحيى يتمسك به من الحرص على الطابع القومي العربي لجزيرة شاور » او « .. تذكرت ما قيل لي انه حين كان الشيخ يحيى مشغولا في باريس في دراسة الطب بالتنقل بين بيغال والسان جرمان دي بريه ، كان الشيخ دحمان يتنقل في البحار الشرقية بين جاوة وسيلان ، وفي الهند وافغانستان وبلاد اخرى » .. الخ ..

في حين في قصة « الحاجان » ، نسمع الى احد بطلي القصة يبدأ السرد بحديث هو تقريبا حديث نفسي اذ يقول « انا محمد عبد الستار صالح من مدينة بينية في قضاء صور » ، ثم يروي حكايته في المهجر ثم بدون مقدمات غير ترقيم القصة ننتقل الى حديث صديقه في (٢) ، ونسمعه يقول « انا انطون بن أبراهيم متى من مواليد الرامة على الطريق بين عكا وصفد .. » ثم يروي حكايته في المهجر ، ثم نجدهما في (٣) في فندق في بيروت ، عام ١٩٦٨ قصد التوجه الى الحج ، احدهما الى القدس ، والآخر الى مكة .. الخ ..

بينما قصة « الجدب والطوفان » تعتمد على الترقيم ايضا ، وترصف المشاهد الحياتية رصفا ، فنجد في (١) صورة آخاذة ليأس بدوي من العطش والجفاف ، يدفعه الى ان يطلب من سائق جرار ان يدهس له عجلاته المشرفة على الموت ، ثم في (٢) نجد صورة لفيضان

الفرات ، وانقاذ فرق الانقاذ لفلاح مع بقراته يهدده الفيضان بالموت ، الا ان الفلاح يأبى الاقلاع بالهليوكوبتر ، لان السائق رفض حمل البقرات فيه . ثم في (٣) ننتقل الى مشهد عن بطل ثانوي في المشهد الاول ، يهجر البادية الى المدينة والى العمل والوظيفة .. الخ ..

في حين قصة « فيفا » تروي بعد تمهيد عن رؤية حلية ذهبية مع موسر من الرحالين، قصة هذه الحلية وما حولها من مناسبات وطرائف، وهي بدون تقسيم او ترقيم وتنتهي باطار ، يشبه اطار التمهيد « .. وحين بلغ صاحبنا هذا المبلغ من الكلام سكت .. فودعنا وانصرف مسرعا ... » ..

اما قصة « حكاية مجانين » فنجدها مقسمة الى سبعة اقسام متسلسلة تتداخل فيما بينها في اسلوب يمكن ان نقول انه اسلوب ألف ليلي تحليلي ، اذ يدور موضوعها حول جنون صبية يتحاور فيه ركاب سيارة قادمة الى حلب ، فيقدمون تفسيرات مختلفة له ، ويستغل العجيلي الرأي ليستطرد الى هموم صاحبه في الحياة .. وهكذا ..

ان التقنية في هذه القصص اذن متنوعة .. او بعبارة اخرى ان البناء القصصي غير مطرد في تقنيته ، او اسلوبها في هذا التاليف القصصي المنوع .. ولا شك ان السرد الوصفي التحليلي هو الغالب ، والمسيطر ، ولكن أليس من الاحسن ان يحدد المؤلف موقفه من اسلوب (القصة - المحاضرة) ، كما رأينا ، وما فيه من تقطع ، ووصل ؟! او ان يحدد موقفه من ترقيم القصص كما رأينا وخاصة ان اثره الجمالي متنوع من قصة الى اخرى ؟ !..

ان احدث نظريات النقد الادبي في فرنسا اليوم ، وهي ما يسمى النقد الاسلوبي للمضامين (تيماتيزم) تحاول ان تربط اسلوب المؤلف وانواعه الادبية وكذلك مفرداته وتراكيبه وعباراته نفسها بتجربته وتطورها ، كي تصل الى الدافع النفسي ، الشعوري واللاشعوري او الفكرة الموجهة ، او الموضوع الرئيسي الذي يشغل باله شعوريا ولاشعوريا .

ودراستي النفسية العامة نسبة الى علم النفس العام ، والتي أربط بها الادب بجذوره النفسية الشعورية واللاشعورية لا تدعي انها نقد اسلوبي للمضامين لانها مجرد دراسة نفسية ادبية .. ولكن اذا اجزنا لانفسنا هنا مثل هذا النقد الاسلوبي هل نقول ان هذه التقنية التي تظهر عليها شوائب من نقص ، هي نتيجة العفوية التي يدين بها المؤلف .. - وهذا ما نرجحه ! - أم أنها نتيجة اهمال شعوري او لاشعوري للنوعية القصصية وتقنيتها بنائها واسلوبها ؟! - وهذا ما لا نعتقده - خاصة وقد دللنا بنصوص صريحة ، على ايمان العجيلي بفنه القصصي وعمله له بكل نفسه .

ان هذه الموضوعات القصصية الشيقة والمتنوعة والتي يغرفها عبد السلام العجيلي من الحياة والواقع والاسفار لو وفر لها قاصنا الكبير قدرا اكبر من العناية الاسلوبية والتقنية في البناء القصصي نفسه لكان ذلك ربحا لها ، وضمانا للصمود .. فان الادب يظل هو الادب ، يظل هذا الفن الجميل الذي اداته الكلمة والعبارة والاسلوب !. واذا اهملنا هذه النواحي الاساسية في صناعة الادب نكون قضينا على الادب ومتعته الفنية نفسها ، ولعل قاصنا الكبير باريحيته وغيرته على الفكر والفن يولي هذه التقنية عنايته وهو لا شك فاعل ، والى لقاء .

دمشق عدنان بن ذريل

نور ونار

للشاعر زكي قنصل - تقديم فؤاد الشايب - ٢٥٣ صفحة من الحجم المتوسط - طبع بوانس ايرس ١٩٧٢

اهدى الي الشاعر العربي المهجري زكي قنصل الجزء الاول من

الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

•

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

ديوانه « نور ونار » الذي ما كدت اشرع في قراءته حتـــى لفت انتباهي امـــران :

اولهما : اعلانه ان هذه الطبعة الجديدة مزيدة ومصححة تلغي مـــا قبلها ، لان على جميع الشعراء ـ في رأيي ـ اعادة النظر في كل ما نظموه ونشروه من شعر ، وتنقيحه في كهولتهم دون اشفاق على بنات افكارهم.

وثانيهما : دعوته النقاد الى ان يقسوا عليه في نقد شعره، ويجتنبوا الثناء الزائف . ويختم دعوته الناقد بقوله : « قل ما يبدو لك ، ولكن بصوت عال ، لئلا يصح فيك القول الشريف : الساكت عـــن الحـــق شيطان اخرس » .

وهذا شجعني على ان اقول كلمتي المنصفة في هذا الديوان ، لكي ارضي ضميري والنقد الادبي ، واكون عند حسن ظـــن صديقي شاعـــر الشهباء الاستاذ عمر أبا قوس في اسلوبي الصادق المنصف في النقـــد كانصاف اديب سورية الكبير الاستاذ رشاد علي اديب .

ان نقد الشعر والنثر هو اظهار ما فيهما من حسنات فيثنى عليها ، وما فيهما من سيئات فيدعى الى اجتنابها ، بأسلـــوب هادىء رصين ، يستوحي فيه صاحبه العقل ، ويسدل ستارا كثيفا على العاطفة ، التي قد تجمح يمينا فتضع الاديب المنقود على رؤوس الافلاك ، وعلـــى رأسه تاج الخلود والعبقرية ، او تجنح شمالا فتهوي بالاديب الـــى حضيض الركاكة والجهل والغباوة ، وعلى هامته اكليل من شوك القتاد .

ان الاسراف في مدح الشاعر ، ووضعه على قمة الكمال ـ والكمال من صفاته تعالى وحده ـ ، يحمل القارىء على الشك في كل مـــا قاله الناقد ، الذي جعل نفسه بوق دعاية للشاعر ، فاضاع حسناته ومميزاته الحقيقية في خضم التدجيـــل ، وضجيـــج التزمير والتطبيل ، وسراب الشكوك والاوهام .

ولا بد لي هنا ، بعد هذه المقدمة ، من ان اشهد أنني مـــا كـــدت اقرأ ثلاث القصائد الاولى مـــن الديوان ، حتـــى رأيتني مشدودا الـــى الشاعر الذي مفنطت ابياته لبي ، فظل سابحا في مجال جاذبيتها ، الى ان انهيت قراءة الديوان كله ، بعدما رقمت على هوامشه الآراء الآتية :

يجب ان يصبح اسم الشاعر « زكي سفير » بدلا من « زكي قنصل »، كما اصبح اسمي « محمد العدناني » بدلا من « محمـــد خورشيد » لان صاحب ديوان « نور ونار » احد سفراء الشعر العربـــي الى جمهورية الخلود ، وكوكب ساطع سيظل متألقا في سماء قريضنا الى ان تزول من الوجود الامة العربية ، امة الشعـــر والفصاحـــة والبيـــان ، وهيهات هيهـــات !!

تشعر وانت تقرأ ديوانه ، ان الوطنية الصادقة العملاقة تكاد تنبض بها كل قصيدة في الديوان كما تنبض حياته في كل شريان ، وتجعلك تفتح له قلبك على مصراعيه ليدخله دون استئذان . فمن قصائـــده الوطنية الرائعة قصيدة « نور ونار » ، التـــي انشدها في الذكـــرى الثانيـــة لاستقلال سورية ، والتي ختمها بقوله :

يـــا بلادا نزحت عنهـــا وقلبي   حائـــم فـــي ربوعهـــا دوار
يشهد الله لـــم أفارق مغانيـــك   اختيـــارا ، لكنهـــا الاقـــدار
عصفت ريحهـــا ، فاقفـــر عش   وخلت أيكـــة ، وتـــاه هـــزار
أنت رؤيـــاي في منامـــي ونجواي   اذا أرقتنـــي الاكـــدار
ضاع في غمـــرة الهموم شبابـــي   وفشا فـــي بنائـــه الانهيـــار
فاذكرينـــي اذا قضيت غريبـــا   رب ميـــت يهـــزه تذكـــار

وقد جعلته وطنيته الاصيلة يسمو فوق النعرات الطائفية ، التـــي حاول المستعمرون ايقادها في صدورنا فاخفقوا وهو القائل في قصيدتـــه « عرس الضياء » :

رمضان هبني من اريجك نفحـــة   نديـاء تحيـــي بالرجـــاء فؤادي
كجل بأنوار السمـــاء بصيرتـــي   واغمس بأطياب الفضيلـــة زادي
لاكاد أسمع في أذانك ـ أشرقت   نغماتـــه ـ ترتيلـــة الميـــلاد

ثم قـــال :

آمنت بالانجيل ثـــورة مصلـــح   وخشعت للقرآن ديـــن جهـــاد
خلع الظلام عـــن الانـــام وشاحه   لمـــا حـــدا باسم الامـــين الحادي
فاصمت اذا تلي الكتاب مهابـــة   واخشع اذا ذكر النبـــي الهادي

وصيره ايمانه بالشعب العربي وقواه الكامنة متفائلا ، ومطمئنا الى النتيجة المشرفة المظفرة التي سيحصل عليها في النهاية ، مـــن طـــرد اسرائيل وانهيار زعماء عام ١٩٥١ ، يؤيد ذلك قوله في قصيدته التـــي وجهها الى الشاعر القروي جوابا على قصيدته « اليك عنـــي » قـــال ، لا فض فوه :

أثار أنينك المجـــروح حزنـــي   وقرح دمعـــك المسفوح جفنـــي
رسول الشعـــر لا يغلبك يـــأس   فقد يشفى عليلك بعـــد وهـــن
قسوت عـــلى العروبة مستفـــزا   وألبست العتـــاب ثياب ضغـــن
أتمطرها شواظـــا مـــن وعيد   وكنت علـــى خمائلهـــا تغنـــي
وتأخذهـــا بمـــا لـــم تقترفـــه   وتنكأ جرحها ب « اليك عنـــي »
أعيذك أن تجـــور ، وانت أدرى   بمن وهبوا اليهود جنان عـــدن

اما قصيدته الخالدة « وصية الثأر » فانني انصح القراء كافـــة بقراءتها وهي موجودة في الصفحة ٢٩ .

اما حملاته الشعواء على زعماء العرب ابان النكبة الاولى ، ففيهـــا جراة نادرة في قول الحق . جاء في قصيدته : ملوك الكلام :

ملأوا الارض ضجة ، ثـــم مرت   فـــاذا كلهـــا صيـــاح ديـــوك
ولغوا فـــي دمـــاك ، ثـــم تباروا   يتباكـــون للـــدم المسفـــوك

ثم يخاطب الزعماء ويقول :

يشهد الله مـــا ضعفتم ، ولكـــن   أعوزتكم عقيـــدة اليرمـــوك
لـــم يقـــم فيكم ـ وأنتم كثير ـ   (خالد) فـــي حميـــة وفتـــوك
لـــو حبستم بترولكم عـــن عدو   لـــم يمت غيـــرة علـــى شيلـــوك

ويقول في قصيدة « كفرت بالعيد » :

يا فتنة المال كم اغويت من قلم   وكم جنيت على تـــاج وصمصام
لاجل عينيك قد ضحت زعامتنـــا   مهد المسيح على اقـــدام حاخام

وانصح بقراءة قصيدتيـــه « العمـــلاق الاسود » صفحة ١١٨ ، و « ارض الشهداء » صفحة ١٥٢ ، ولـــو شئت اختيار ابيات منهمـــا لاخترت ابياتهما كلها دون تردد .

ومن مميزات هذا الشاعر تفاؤله الشديد ، والتفاؤل مـــن صفات الرجال ذوي الشخصيّة القوية ، بينما تكون نفوس المتشائمين كالاطلال ينعب فيها البوم ، واين البوم من هذا النسر العربي الذي قال :

أبدا ... لـــم يهزنا الزلـــزال   نحن قـــوم تشدنـــا الاهـــوال
كلمـــا غالـــت النوائب فينـــا   أمـــلا زاهيـــا ، نمت آمـــال
كلمـــا أطبقت علينـــا الليالـــي   ضحك الفجر او أطـــل هـــلال
لم نهـــن للخطوب مهمـــا تمادت   تتـــردى ، لكننـــا لا ننـــال
نلبس الشمس بسمـــة ، ونواري   خلفها الجرح وهـــو دام عضال

وما على من يريد الاستزادة من شعره المتفائل الا ان يقرأ الصفحات ٢٣ ، و٦٤ ، و ١٥١ .

وقد حملته عروبته ووطنيته على دعم الفدائيين العرب ، والاشادة بهم ، فقال :

هذي غطاريف الفـــداء بـــدت   فاستبشروا بالانجم الشهـــب
من كـــل أروع فـــي شمائلـــه   بحران مـــن لطف ومـــن غضب
ريـــح الخلـــود تهب عاطـــرة   فواحـــة مـــن كوخـــه الخـــرب
ثـــاروا علـــى الاقـــدار فانفرجت   وعلـــى الهـــوان فـــلاذ بالهـــرب
من غيهب الصحراء قـــد طلعوا   نـــورا يشق غياهـــب الريـــب
باعوا النفوس ليشتروا وطنـــا   هـــو عندهـــم كالعـــين للهـــدب
اسيافهـــم عـــزم وتضحيـــة   وعتادهـــم مـــا شئت مـــن دأب
يعطون لا خوفـــا ولا طمعـــا   شأن النـــدى يهمـــي بـــلا سبب
تعب حياتهـــم ، ولـــو رضخوا   لنجوا مـــن التشريـــد والتعب
أعلى مـــن الايـــوان خيمتهـــم   وترابهـــا أغلـــى مـــن الذهب
نقشوا علـــى الاسياف آيتهـــم   القـــدس أمـــي ، والجليل أبـــي

وتكثر الحكمة في شعره دون ان يتعمد نظمها واقحامها بين ابياته ، كقوله :

صفوة الناس من تمسك بالحق   ظهرا ... ومـا عداهم نغايه

عيشـا يتقي المعاير من لـم   يصرف الناس عن دروب الغوايه

وقولـه :

من صاحب البطل لم يامن غوائله   البطل بين مطاوي الثوب ثعبان

وقولـه :

يخشى المنية من يساق الى الوغى   وتخافه مـن خاضهـا استبسالا

وقولـه :

رب نصر كالاثم ينضـح خزيـا   وانكسار كالحق فيـه جـلال

وقولـه :

ومن يخذل اخـاه في الرزايـا   يظل علـى الزمان بـلا نصير

اما فلسطين فقد وفاها حقها من شعره وقلبه ، وخير نموذج لذلـك قولـه :

لولا فلسطين كانت ظلمتي القـا   وكان بردا علـى اضلاعي الضرم

اني لاحمل في قلبـي لواعجهـا   اليس يجمعنا الايمـان والرحـم

ما دام عرضي للشذاذ ممسحـة   فليس لي بين اعلام الورى علـم

أيلفظ الوطن الدامي حشاشتـه   و « سادة الرمز » لا حس ولا ألم

لاهون عنه بتطبيـل وشعوذة   ساهون عنه بما يستهجن الكـرم

خنافس رطنوا فكـرا وقافيـة   كأنهم واو عمـرو كلما نظمـوا

وهذا يسوقنا الى رأيه السديد في الشعر ، قال حفظه الله :

كـل شعـر لا وزن فيـه ولا   معنى هـراء أصوله أجنبيـه

شرف القول ان يكـون فصيحا   لـم يلجلج الا الخبيث الطويه

وجاء في قصيدته التي رثى بها الاخطل الصغير :

آيات شعـرك لا نفـاد لهـا   وخنافس الرمزيـة انصرمـوا

فرضوا علـى الاغـرار بدعتهم   ثـم انطـوت ، ونقلص الوصم

أقسمت لـم اسمع سفاسفهم   الا حـلا في اذني الصمم

ساء الجديد ، وخـاب قائلـه   لا العـرب تفهمه ، ولا العجـم

ماذا نقول لمـن يهاجم شعرنـا   هـل يقحم البركان الا احمق

يا سادة الشعر الذي لـم يلتزم   وزنا ولا معنى ... أأنتم زئبق

لم تخجلوا ، والشوك من أخلاقه   ألا يغض ... وقد يغض الزنبق

ويبدع في وصف الاغتراب ، فيقول :

غصص المهاجر ليـس يعرفهـا   الا الـذي عـن ربعـه اغتربا

لا تنخـدع بوميـض بسمتـه   هذا هو الفجر الـذي كـذبـا

يطوي على جمـر اضالعـه   ويرشه فـي كاسه حببـا

قـل للـذي يـزري بفاقتهـا   أقسمت يفضل رملهـا الذهبـا

لا يستحـق بـلاده عـدنـا   مـن لا يحب بـلاده خربـا

ويجيد في كثير من مطالع قصائده ، منها :

ما للمدامع فـي عينيك تختلج   حمراء يهدر فيها الحقد والوهج

لا الشمس هاويـة ولا الهـرم   الثاكلان الحـرف والقلـم

يفنى الزمان ، وانت حي يرزق   وتغيب اسماء ، وذكـرك مشرق

هتكوا حماك ، وانت لـم تثب   أولست مـن عدنان يـا عربي

اما صفاته التي يبرزها شعره ، عدا وطنيته وعروبته الجامحتين ، فهي الاباء ، وهو القائل :

تأبى علـى مثلـي كرامتـه   أن يستجيل لحاكم ذنبـا

كرهـه المـال :

اذا غاص في الارقام تفكير تاجر   ثنيت عناني خلف قافيـة بكـر

يثير اقتتال الناس كامن حيرتـي   ويدهشهم أني سعيد على فقري

لكـم سائل فاخرتـه بقناعتـي   فلم ير فيما قلت شيئا من الفخر

يقول وقد شام ازدرائي بمالـه   أتدفع اجر البيت من غلة الشعر

أتاكل نفح الروض ان كنت جائعا   وتلبس مما تنسج الريح للنهـر

اعجابه بالبطولة ، واحيل القراء على ديوانه ليقرأ في الصفحة ١١٨ قصيدته الخالدة « العملاق الاسود » التي وجهها الى بطل الملاكمة العالمي محمد علي كلاي ، لانني حاولت انتقاء بعض ابياتها ، فاشرأبت الابيات كلها باعناقها الي لانتقيها .

هذا هو رأيي في حسنات هذا الشعر الذي أطل علـى الضاد بدرا تماما من سماء الخلود ، والذي حاكى بدر السماء بوجود قليل من الكلف عليه ، ولكن دون ان يشينه . فمن هذا الكلف :

عدم شرحه بعض الكلمات الصعبة ، واكتفاؤه بشرح بعض الاعلام ، واستعماله كلمات عفى عليها الزمان ، ولا توجد الا في الزوايا المظلمة من المعاجم ، كقوله :

شدوي على مسرح الاحداث دمدمة   وبسمتي في مآسي أمتـي غسم

والغسم التي استعملها مرتين في ديوانه ، تعني الظلمة او السواد، فمن من ادبائنا الافذاذ يعرفها ؟ وقوله :

لكن اذا غمـز الزاري كرامتنـا   ثار العجاج، وماد السهل والجرج

والجرج : كلمة ميتة معناها الارض الغليظة ذات الحجارة .

ولا أوافق شاعرنا ابا عمر على استعمال المصدر (غلوان) المهمل ، بدلا من المصدر (غلواء) المألوف في بيته الآتي :

خفوقه كدبيب الظـن حشرجـة   أهده غاية الغلوان يـا هـرم ؟

قصره الممدود ، ولا انكر ان هذا ضرورة شعرية ، ولكن الشعراء الفحول لا يلجأون الى مثل هذه الضرورة ، وقد قصر الممدود فـي الصفحـات ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٨٥ ، ٢٤٧ (الفضـا ، البكا ، السما ، الرجا ، سماه) .

وجود اخطاء مطبعية غير قليلة في الديوان ، مع ان الشاعر صحح بعضها قبل ان أهداه الي ، فمن تلك الاخطاء وضع همزة قطع بدلا من همزة وصل في كثير من الاحيان ، ومنها نقل كلمة من صدر بيت الـى عجزه :

شنت علـى الوحش   حربا مشبوبة الزفرات

ف (حربا) يجب ان تاتي في نهاية الصدر .

ليت شاعرنا زكيا ، (وهو الذكي) ، وكل امـر طباعة ديوانـه النفيس الى « دار العودة ببيروت » التـي وقف صاحبها نفسه لنشر خير دواوين الشعر العربي مطبوعة طباعة انيقة جدا على ورق صقيل ممتـاز .

خلو الديوان من الترقيم (، ؛ : ! « » ـ) ، ومن الشكـل شبه التام ، مما جعل بعض المعاني غامضا كقوله :

اذا لـم تنسحب ارجا وظـلا   فـلا تـك بينهم لفح الهجير

ليقذي المجـد ان تقسو عليهم   وأنت وان كرهت مـن العشير

اكثاره من استعمال (لا) الناهية من المضارع الغائب والمتكلم . وهذا جائز ، لكن الاكثار منه يهز بنيان النظـم المكين ، كقوله فـي قصيدته عن جبران :

لبنان لا يفخـر علينا بابنـه   لا نحـن نسبقه ، ولا هو يسبق

هنالك ملاحظات لغوية وهفوات ، ارجـح ان السرعة ، ومشاكل الحياة الكثيرة ، والنكبات المتلاحقة التـي حاقت بامتنا العربية كانت السبب في شل تفكير شاعرنا ، والحيلولة دون التنبه الى تلك الهنات البسيطة كقوله :

تلقى اولى مبادىء القراءة بدلا من (أول مبادىء القراءة) ، لان (مبدأ) مذكر :

وقوله : مليون لاج بدلا من مليون لاجىء .

وقوله : يقولون شكواك افتعال وتخمـة (بتسكـين الخـاء) والصواب بفتحها ، والفتح يحدث اختلالا في الوزن .

وقوله : كان حوض المنايا منزه خضل .

والصواب : متنزه .

وقوله : ويغمر دنياك ظل الامن .

بفتح (ميم) الامن ، والصواب : تسكينها ، وبه يختل الوزن .

وجمعه زهر على (ازاهر) ، والصواب (ازهار وازاهير) .

وقوله : تعاليمك (السمحاء) بدلا من (السمحة) .

وقوله : يدوي بدلا من يدوي (بتضعيف الواو) ، لان الفعل هو دوى (بفتح فتضعيف) لا دوى (بفتح ففتح) .

وقوله : ونملأ النفس من ينبوعه العذب (بكسر الذال) ، والصواب : بتسكينها .

وقوله : ولن يحوم على اسمي الدود والنمل (بكسر الميم) ، والصواب : بتسكينها الذي يخل بوزنه .

وقولـه :

تعب حياتهم ، ولـو رضخـوا لنجـوا مـن التشريد والتعب

والصواب : ولو خضعوا ، لان معنى (رضخ) : كسر أو اعطى.

وقولـه :

نقشوا على الاسياف آيتهم . ليته قال : نقشوا على الصاروخ ، لان عهد السيوف قد ولى .

وقوله : شتان ، والصواب : شتان (بفتح النون لا بكسرها) ، لانها اسم فعل ماض ، لا مثنى .

وقولـه :

لا تخف ان تعصف الريح ، فلا لـن تهز الريـح أركان الجبـل

وهذا خطأ لان (لا) لا يجوز ان تسبق (لن) .

وقوله : كيف تنمي للمعالي أمة .

والصواب : تنمى (بالالف المقصورة لا بالياء) .

وقولـه :

لن يستعيد العرب غابر مجدهم الا اذا نبذوا الفوارق والتقـوا

والصواب : والتقوا ، وهذا يجعل قافية هذا البيت ذات حرف روي مفتوح ، بينما حروف الروي في أبيات القصيدة كلها ذوات قاف مضمومة ، وهذا لا يجوز . اما (سورية) التي يجب ان تكتب بالياء المخففة والتاء المربوطة ، فانه يكتبها (سوريا) بتشديد الياء والالف وهذا غير جائز .

وقولـه :

آمنت بالانجيل ثـورة مصلـح وخشعت للقرآن ديـن جهـاد

فهنا جعل القرآن دينا ، وهذا غير صحيح وانا اقترح عليـه ان يقول :

وخشعت للاسلام ديـن جهـاد

او : وخشعت للقرآن سفر جهاد (بكسر السين وتسكين الفـاء في (سفر)) .

وقولـه :

وغزوا الكون بالثقافة فانحلت قيود واشرقت انوار

فالوزن مختل هنا ، ولا يستقيم الا اذا كـان الزاي في (غزوا) مضمومة ، وهذا لا يجوز لان الفعل مقصور . والقاعـدة توجب فتـح الزاي ، وبذلك يختل الوزن . أما بيته :

ساء مسعى صهيون يبني على الاوهام دارا اساسها الدينار

فانني اقترح عليه ان يقـول : اساسها الدولار . لان اسرائيل لولا الدولار الاميركي ، الذي تدفق ألوف الملايين منه عليها ، لما كانت موجودة الآن .

هذه هي النقاط القليلة التي حملني ضميري وحبي للفني علـى ابدائها ، لكي لا يقع الشاعر الكبير المطبوع زكي قنصل في مثلها عندما يطبع دواوينه الاخرى ، ولكن نبتعد بالنقـد عـن تملق المنقود حتى لا ندعه يكرر اخطاءه ، ويهمل تنقيح شعره تنقيحـا شبيها بتنقيح زهير بن ابي سلمى لحولياته المطلة على البابنا من سماء الخلود .

أما زبدة رأيي في شعره الذي نشره في ديوانه « نور ونار » فهو انـه :

شعر واقعي عاطفي فطري ، يستطيع به الشاعر ان ينسرب فـي قلبك ، بعد ان تنتشي برحيق العبقرية والصدق ورهافـة الحس . وانصحه بأن يمزج وحي العاطفة بوحي العقل كما فعل المتنبي وشوقي، وان لا يكتفي باستلهام العاطفة وحدهـا كمـا فعـل البحتري وحافظ ابراهيم . فالمعنى في الشعر يجب ان نهتم بـه اهتمامنا بالمبنـى ، وجدير بابي عمر ان يغوص على لآلىء المعانـي بعقله الجبار ودأبـه المتواصل غوصه على الالفاظ في بحور المعاجم .

وهو شعر قومي يبهرنا فيه (نور) الوطنية والعروبة ، و (نار) الغيرة على بني قومه ، وحسبه فخرا القصائد الكثيرة المتأججة ثورة وغضبا ، ويأسا ، وأملا ، وشكا ، ويقينا ، والتي تدفق عليه وحيهـا بعد نكبة حزيران ١٩٦٧ الفادحة ، تدفق الامطار المتمردة على السحب، والمفلتة من سيطرتها .

تجد في كثير من ابياته شموخ المتنبـي وابـي فراس واباءهما ، وحسبه قوله :

رضنا الزمان فمـا تمـرد صرفـه الا تمردنا علـى المتمـرد

لم تستطع كلماته دائما ان تعبر تعبيرا صادقا عن نفسه الكبيرة ، وشعوره الرهيف ، وعروبته السامقة ، مع ان سيطرته على اللغـة تضعه مع شعراء الصف الاول من المهجريين .

يستشهد بحوادث تاريخية تدل على اتساع ثقافة الشاعر العصامي وعمقهـا .

هذا هو رأيي في الشاعر المهجري الكبير زكي قنصل ، ذلك الراي الذي حاولت جهدي ـ كعادتي ـ ان انهج به نهـج الحق والانصاف ، وان اعتمد على العقل وحده ، واضع العاطفة جانبا ، لانني أحببت هذا الشاعر الوطني المخلص لامته وعروبته حبا جما، بعد قراءة ديوانه، واحللته مكانا رفيعا في قلبي .

والله وراء القصد

محمد العدناني

فوزي المعلوف

تاليف صموئيل عبد الشهيد ـ ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات العالم العربي ببيروت ـ عام ١٩٧١

في فترة الزهوة الاولى للادب المهجري ، كان صوت الشاعر الشاب فوزي المعلوف من أصفى الأصوات الشعرية الجديدة ، واعذبها ترجيعا وشدوا. ولعله كان بين المهجريين الجنوبيين آنئذ الصوت المجدد الوحيد ، الذي يذوب رقة في غنائه ، وينظم الشعر في المعاني الانسانية الكبيرة الجديدة . وكان التجديد الحقيقي ابرز ما يكون في شعره : في جمال العبارة ، وعذوبة الموسيقى ، وصدق الاحساس ، وغنى الخيال والتصور ، والابتكار في المعاني ، والتميز بثوب جديد لم يكن مما لبسه القدامى .

في تلك الآونة من بداية زهوة الادب المهجري ، طلع فوزي بمطولته الغنائية الشهيرة « على بساط الريح » او « شاعر في طيارة » ـ كما كان عنوانها في البداية ـ وكانت صوتا جديدا متميزا بالقوة والجمال. وقد ظهرت بالعربية والاسبانية في وقت واحد . وسرعان ما انتشرت في المشارق والمغارب على السواء ، فاذا فوزي المعلوف ، الشاب النديان العود ، شاعر في الطليعة والقمة .

ولكن فوزي لم يعش طويلا . لقد كان يتغنى بالموت في شعره ويتودد اليه . ومن ذلك قوله :

والآن يا موت الي اقترب   يا حبذا بالموثق المعتق
معتق نفسي من قيود الردى   موثق جسمي في المدى الضيق
لم يبق لي في الارض من بغية   ما الارض الا جنة الاحمق

ومنذ ان ظهرت مطولة « على بساط الريح » كان فوزي حديثا على كل لسان في مجالس الادب والشعر ، وفي صحف الشرق والغرب.

ثم طار البلبل الفريد عن عشه ولما يكتمل ريشه بعد ، فقد كان فوزي في الحادية والثلاثين من عمره حين انقصف غصنه اليانع ، وخلف وراءه ثروة شعرية خالدة على الايام . وراحت الاقلام تكتب عن فوزي وشعره كثيرا ، فما تقف عند حد .

وآخر كتاب صدر عن فوزي المعلوف هو هذا الكتاب الذي اصدره الصديق الاديب الاردني الاستاذ صموئيل عبد الشهيد في منشورات العالم العربي في بيروت عام ١٩٧١ في ٢٢٠ صفحة من القطع الكبير ، ودرس فيه الشاعر المهجري الخالد دراسة وافية ، شملت حياته وشعره ونثره ، وحللت عناصر القوة والتجديد في شعره ، وعوامل الابداع التي تترقرق فيه عذبة صافية .

لقد كان هذا الكتاب رسالة الماجستير التي قدمها صموئيل عبد الشهيد للدائرة العربية في الجامعة الاميركية في بيروت . وهي لذلك تتوافر فيها عناصر البحث الجامعي ، والاحاطة الشاملة ، مع قوة التحليل والتعليل ، والبحث عن الحقيقة وراء المظاهر الكلامية .

لقد جاءت الدراسة والبحث في ١٧٤ صفحة ، ثم تلاها قسم للمختارات الشعرية ، جمع فيه المؤلف عددا كبيرا من قصائد فوزي المعلوف المتفرقة والتي لم يجمعها ديوان بعد . وقد احسن كثيرا في جمع هذه المختارات ليقدمها باقة حلوة لمن يقرأوا شعر فوزي في مظانه، ولم تتوافر لهم مظانه .

في الفصل الذي حلل فيه صموئيل اسباب وفاة الشاعر اشارة الى ما جاء حول ذلك في كتابي « ادب المهجر » من ان فوزي قضى على اثر عملية للزائدة الدودية . وهو ، طبعا ، غير مقتنع بذلك .

وانا أحب ان اوضح هنا انني انا ايضا قد سجلت ذلك في كتابي ولم أكن مقتنعا به . غير انني لم أشأ ان انقض ما قاله لي المرحوم الشيخ عيسى اسكندر المعلوف ـ والد فوزي ـ رحمة الله عليهما . فحين سألته عن سبب وفاة فوزي ، وكنا على مائدة الغداء في منزله في بيروت ، قال انها الزائدة الدودية وليس سواها . واذكر انني ناقشته في هذا مبديا عدم سهولة الاقتناع بأن الزائدة الدودية يمكن ان تكون سببا كافيا للوفاة ، ولكنه اكد لي ذلك باصرار .

والحقيقة انني كنت من قبل ـ وما تزال لدي شكوك ـ مقتنعا بأن الذي قصر أجل الشاعر الشاب لا بد ان يكون مرضا جنسيا ، او هو السل على الاقل . وذلك لان الشاعر نفسه يقول في احدى قصائده ـ ولا شك انه يعني نفسه ـ :

جاء والطهر والحياء رفيقاه ، وثوب العفاف كل ثيابه
وتولى يقوده الاثم والسداء الى القبر في ربيع شبابه

و « الاثم والداء » هما مبعث شكي في امر وفاة فوزي . ومع ذلك لم أشأ ان أسيء الى صديقي المرحوم الشيخ عيسى المعلوف باثبات هذا الشك ، وفضلت على ذلك تسجيل ما ذكره هو لي عن سبب وفاة ابنه .

رحم الله الوالد والابن ، وشكرا للصديق صموئيل عبد الشهيد على كتابه النفيس الذي أضاف به جهدا جديدا في دراسة الشاعر الخالد فوزي المعلوف .

عمان ـ الاردن   **عيسى الناعوري**

•

موازين الشعر العربي باستعمال الارقام الثنائية

تاليف الدكتور محمد طارق الكاتب ـ ٢٤٨ صفحة ـ مطبعة مصلحة الموانيء العراقية بالبصرة ـ ١٩٧١

من غريب الاتفاق ان يكون العراق مهبط علم العروض في العالم ، فقد اخترعه السومريون قبل اربعة آلاف سنة ، وانتقل من اللغة السومرية الى السنسكريتية ، ومنها الى اليونانية والعربية ، وكان واضع علم العروض العربي عراقيا هو الخليل بن احمد الفراهيدي ، ويقوم بتطويره في ايامنا هذه عراقيون ، بل يظهر من بينهم من يطبق القواعد الالكترونية على العروض العربي ، فيعرف صحيح الشعر من فاسده بطريقة رياضية فريدة من نوعها ، وقد سبق للمرحوم الاستاذ الدكتور محمد مندور ان ذكر لي ـ اثناء زيارته لبغداد بمناسبة انعقاد مؤتمر الادباء العرب فيها ـ ان الفرنسيين كانوا ، ايام دراسته في فرنسا ، يقيسون اوزان الشعر بآلات مبتكرة خاصة ، غير انها ليست اليكترونية ، فبدعة الاستاذ الدكتور محمد طارق الكاتب ، مؤلف كتاب « موازين الشعر العربي » فريدة من نوعها ، وهي حرية بالتقدير والثناء والاعجاب ، ولقد قدر لي اخيرا ان اطلع على كتابه ، اذ وصلت نسخة منه الى صومعتي بلندن ، بطريق الاستاذ عبد الله اليماني ، فرأيته كتابا يضم ٢٤٨ صفحة ، غير ان النسخة التي قدمها لي الصديق الكريم تنقصها الصفحات ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ فقد جاءت بيضاء ناصعة ، نتيجة اهمال في الطبع، مع ان مطبعة مصلحة الموانيء العراقية في البصرة من خيرة المطابع المعروفة ، ولعلي الوحيد الذي كنت سيء الحظ فجاءتني هذه النسخة ، مع ذلك فقد استطعت ان اكون فكرة واضحة عن الاتجاه الرياضي الجديد في العروض ، وقد قدم للكتاب بثلاث مقدمات اولاها للاستاذ الشاعر مصطفى جمال الدين وثانيتها للدكتور ابراهيم السامرائي ، وثالثتها للمؤلف نفسه ، واعتقد انه كان بالامكان الاكتفاء

بمقدمة واحدة ، لا سيما وان الكتاب صغير الحجم نسبيا ، يحتمل ثلاث مقدمات في آن واحد .

وقد لفت نظري في مقدمة الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي قوله (ص ١٦) :

« حاول غير العرب من المستشرقين ان يجدوا ضوابط اخرى غير الموازين العروضية التي قال بها الخليل بن (١) احمد . لقد توصلوا الى شيء جديد يقوم على الخط المنحني (كذا) رمزا للمقطع الطويل، والنقطة (كذا) رمزا للمقطع القصير » .

لقد استغربت ، وايم الحق ، هذا الكلام من الدكتور السامرائي الذي درس في فرنسا على يد المستشرق بلاشير ، واتصل بالثقافة الغربية من كثب ، لان هذه الطريقة ليست من استنباط المستشرقين، بل هي طريقة اوربية في التقطيع استعارها الاوربيون من رموز الخليل في دوائره ، بعد تحوير جزئي ، ثم انهم لا يستعملون الخط المنحني رمزا للمقطع الطويل ، بل يستعملون خطيطا (ــ) ، اما المقطع القصير فيرمزون له بركزة ، لا بنقطة ، كما توهم الدكتور الفاضل ، ولم يجد المستشرقون « ضوابط اخرى غير الموازين العروضية » على نحو ما ذهب اليه الاستاذ الدكتور ، بل أبقوا على الموازين العروضية العربية ودعموها بالرموز التقطيعية ، على نحو ما اوضحناه في كتابنا : « فن التقطيع الشعري والقافية » (٢) .

واود كذلك ان اشير تعليقا على مقدمة الدكتور محمد طارق الكاتب ان الاخفش الاوسط لم يكتشف ميزانا شعريا ، وانما زعم انه استدرك وزن « المتدارك » على استاذه الخليل ، وكان الخليل عارفا به واهمله ، لا عن جهل ، وانما عن عدم اعتداد به .

وكنت ارجو ان يخلو الكتاب من بعض الهنات اللغوية ، كقول المؤلف (ص ٢٥) « العمليات الاربعة » وصوابها « الاربع » ، « عمل كمسؤول » وصوابها « مسؤولا » ، و (ص ٣٩ ــ ١) « لم يتماشى » وصوابها « لم يتماش » بحذف الالف المقصورة ، و (ص ٣٨ هـ ١ــ٨) : « بدوره مقتبس » وصوابها « مقتبسا » وفي (ص ٣٠ هـ ١) كان الافضل ترجمة كلمة **Suffix** « بالكاسعة » لا « اللاحقة » .

على ان هذه وامثالها لا تقلل من قيمة الكتاب الفنية والعلمية ، فالرجل قد جاءنا بجديد ، واثبت ان العروض ضرب من الرياضيات الموسيقية ، وانه قائم على حساب دقيق حساس ، وهذا ما كان يجهله او يتجاهله الكثيرون ممن يزعمون ان معرفة العروض وقف على من رزق اذنا موسيقية حسب !

غير انه مع ذلك اصبح يقينا لدي الآن ان العروض العربي يجب ان يعاد النظر فيه ويكتب من جديد ، وقد شرعت شخصيا بوضع كتاب عروضي جديد على سبعة اسس ، هي :

١ ــ حذف الدوائر العروضية الخمس ، لانها غير ذات جدوى ، فهي سبب تعقيد العروض العربي وعدم تطوره ، وان هي في الحقيقة الا دوائر خيالية اريد حصر البحور الستة عشر ضمنها بصورة غير طبيعية .

٢ ــ الغاء البحور الستة عشر ، وسيلة لنظم الشعر ووزنه .

٣ ــ الغاء الزحافات والعلل كافة .

٤ ــ الغاء نظام التفعيلة من اساسه .

٥ ــ الغاء نظام الابيات واعتداد الشطر اساسا ، بدل البيت .

٦ ــ تصبح اسس الشعر العربي قائمة على :

ــ النقرة .

ــ السبب الخفيف .

ــ السبب الثقيل .

ــ الوتد المجموع .

ــ الوتد المفروق .

٧ ــ يعرف كل رمز من هذه الرموز بالوحدة الشعرية ، ولا يجمع بينها الا حسب قواعد شعرية ايقاعية منظمة .

فبوسعك ان تجمع بين وتد مجموع وسبب خفيف او سببين خفيفين حسب ترتيب هندسي لا يخرج عن الذوق الموسيقي السليم ، فبدلا من ان نقول مثلا ان بحر الطويل مؤلف من :

فعولن ــ مفاعيلن ــ فعولن ــ مفاعلين .

نقول : انه مؤلف من ثلاثة اوتاد يفصل بينها سبب خفيف ، وسببان خفيفان على التعاقب ، ويمكنك ، على سبيل التنويع ، ان تختم الشطر الاستهلالي بوتدين متعاقبين ، وبذلك تتخلص من ادعاء « علة القبض » او حذف الخامس الساكن ، وهكذا .

ان هذه الطريقة ستبسط عروضنا ، عند تدريسنا اياه في المدارس الى حد كبير ، على ان نستبقي الطريقة التقليدية للمختصين فقط .

اعود مرة اخرى فاكرر تهنئتي للاستاذ الدكتور محمد طارق الكاتب الذي يعد ما انجزه مفخرة من مفاخر العرب في العصر الحديث، ويمكن تطبيقه لا على العروض العربي وحده ، بل على اي نظام عروضي متقن في اي لغة من لغات العالم ، باستثناء عروض « الشعر الفوضوي السائب » الذي لا معنى فيه ولا مبنى ، ويعد مؤامرة خطيرة ، بريئة الظهر ، لنسف التراث العربي العريق من القواعد ، ولا علاج له الا باحياء فن الموشحات الاندلسي الرائع ، لانقاذ ثقافتنا من الانحدار

١ ــ جاءت لفظة (بن) في كلام الدكتور في بداية السطر ، وكان حقها ان ترسم بالف هكذا : (ابن) ، واكبر الظن انها غلطة طباعية .

٢ ــ الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦٦ .

الى الهاوية الادبية التي فغرت فاها لتبتلع كل ما هو جميل وخالد.. فيا ويلنا من الوليد المسخ الذي انجبه مدمنو المخدرات من الهيبيين ذوي الشعور الطويلة والاظفار غير المقلمة .

لنـدن **صفاء خلوصي**

•

ضجـة في الزقـاق

رواية ـ تأليف غانم الدباغ ـ ١٩٦ صفحـة ـ حجـم كبير ـ مطبعـة الاديـب ببغـداد

في رواية غانم الدباغ الجديدة « ضجة في الزقاق » تلك التي تأخـذ ملامحها وخيوطها ومناخاتها من أزقة الموصل القديمة ومن قناطرها (في العهد العثماني)... حيث يرصد الكاتب الحياة الاجتماعية والسياسية والبداية الفكرية معا للقطر من خلال مدينة واحدة ... تختلف بعض الشيء عن المدن العراقية الاخرى .. ويسلط الضوء على زوايا صغيرة الا انها تمثل بمجموعها وجه المدينة ... وتمنح الرؤية فنيـة عفويـة تجعلها نابضة بالحياة ..

وخليل بطل الرواية سليل عائلة بورجوازية الا ان وفاة والـده وسرقة عمه للارث جعله فقيرا بالصدفة ولم تبق لعائلته الا ان تفخر او تلجأ عند الحاجة الى العم الضابط المتقاعد ، وهو ايضا يحتقر العائلة ويعتبر اخاه ـ المرحوم ـ سكيرا مات من ادمانه الخمرة ...

ولخليل مع هذا العم حدث جلل ـ كما يحدث دائما في مثل هذه الاوساط ، فقد طرد هو وعائلته من بيت عمه بعد ان شاهده العم في وضع مريب مع ابنته ...

وخليل موظف صغير له شلة تلتقي في انها تنكر الحكم القائم مهما اختلفت الوسائل .. فالبعض يجد ان الحكم بعيـد عـن الاسلام ، والاخر يجده بعيدا عـن الشعب وهكذا ... الا ان صداقتهم فـوق اختلافاتهم البسيطة هذه ... وحتى حين يتناقشون في هذا الموضوع فانهم يتناولونه بروح من الدعابة ... وهو كالمثقفين ـ يتناقش كثيرا ومواقفه غير حادة .. ويقتني الكتب بكثرة ... وله قطبان .. الجنس والسياسة .. وهو متردد حتى في مغامراته الجنسية القليلة .. ولمـا كانت السياسة كما عاينها تعني السجن والموت وتعني (ان يصير جمجمة لتشييد الوطن) والجنس يعني الحياة ... فيحدث صراع داخلـي ، بين ان يكون كباقي الموظفين وبين ان تكون له هذه الصداقة الدائمة مع (ذوي الافكار الهدامة) ...

ويبدو خليل بطلا مهزوزا ... فهو حين يعلم ان هناك من يترصده يحرق المناشير وحين يفتش بيته لا يجـد المتحرون سوى بعض الكتب السياسية دون ان يجدوا منشورا او دليلا فعليا وتنحصر التهمة فـي وجود (كتب) ممنوعة وحسب .

اما اشتراكه في المظاهرة التي سبقت التحري ... فلم يكـن الا عبثيا او عاطفيا فهو يحاول ان يدلف الى زقاق آخر او يرجـع الا ان الجموع قطعت عليه الطريق ويجد نفسه في خضم المظاهرة فهو لا يملك اذن الا ان يهتف ويصفق ... ثم انه لم يكن حاضرا في التظاهرة ... فهو يقف وسط ساحة البريد القديم المزدحمة بالمتظاهرين ولا يفوته ان يتذكر تلك الامرأة ... والعربة التي عبرت بهما الجسر مرتين ...

وفي خاتمة المظاهرة ... ربما عثر فوقع على الرصيف ... يؤخذ الى التوقيف ... فيجد في الموقف بعض اصحابه ... ويبادره احدهم باستغرابه لتوقيفه فهو (آخر من تفكر بهم السلطة) ... وفي هـذا الحديث تهمة واضحة له .. لدوره الضعيف المتخاذل ... ولعائلتـه التي يحتمي بها رغما عنه في الملمات ...

واثناء توقيفه يبدأ دور العائلة ، حيث تتوسط لدى عمـه علـى العمل لاخلاء سبيله ويوافق العم على مضض ـ وكما يحدث للموقوفين الذين يملكون سندا يفرج عنه .

انه يشعر بالخزي من واقعه هذا ... من توسط أمه لدى عمـه الا انه لا يتجاوز هذا الواقع ولا ـ يفعل ـ شيئا الا ان يقرف مـن وضعيته ... ان العائلة (الانتماء الطبقي الذي يقـود الى الانتمـاء الاجتماعي) تطارده وتحاول ان تشدها اليه عطفا عليه ، ولانه يعيـل عائلة اخ الضابط آلبيك ، ذي السمعة الحسنة ـ لـدى الحكومـة والعثمانيين .

فحين تاذن المحاكمة تاخذ الام طريقها الى بيت العم مرة اخرى .. لانه يعرف رئيس المجلس العرفي ، والام تعرف زوجته (وللنساء دور كبير في التاثير على ازواجهن ولو كانوا قضاة) ..

وفي المحكمة يفرج عنه بالطبع ... والشاهد الشرطي حين يـرى الحاكم يدافع عن خليل يبدل موقفه ... ويخرج خليل مرة اخرى ... ويذهب الباقون الى غياهب السجون ... انـه يشعـر بالخزي الكبير حين يشيعه صديقه المحكوم القصاب ويحس بثقل ان الانسان قـد اندحر فيه ...

وهكذا نتعرف على خليل عن كثب بطـلا مهزوزا مليئا بالافكـار والحس الا انه لا يملك ان يحولهما الى فعل ... ثم ان العائلة تجره دائما الى القاع ... انها تجعله موضع شك وازدراء مـن اصدقائه وموضع عدم ثقة من الحكومة ، هذا الموقف الوسط له جسده الكاتب خير تجسيد ـ واسوأ الامور الوسط ـ .

ان « ضجة في الزقاق » اضافة جديـدة وخط اصيل للروايـة العراقية ، والرواية العربية ... وان رصد الواقع المحلي ، والنظرة العميقة اليه ، لهو الطريق الى تاكيـد الادب العربي وحضوره فـي الآداب الانسانية ...

الموصل ـ العراق **أرشد توفيق**

من مؤلفات الدكتور يوسف عز الدين

باللغة العربية

الشعر العراقي في القرن التاسع

دراسة مستفيضة عن تيارات الادب والفكر في هذا القرن . الطبعة الثانية . الدار القومية في القاهرة .

الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه

بحث شامل عن تاريخ العراق المعاصر وشعرائه وحياته السياسية والاجتماعية واهم احداثه التي صورت في الادب . الطبعة الثانية . الدار القومية في القاهرة .

الاشتراكية والقومية واثرهما في الشعر الحديث

اوسع دراسة عن اثر هذين التيارين في الوطن العربي . من محاضرات الدراسات العليا في القاهرة وبغداد .

فهمي المدرس — من رواد الفكر الحديث

بحث جديد عن الفكر العربي وتطوره والتجديد ومظاهره في الادب والصحافة وانشاء الجامعة الاولى في بغداد . مطبوعات معهد الدراسات والبحوث العربية بالقاهرة .

خيري الهنداوي — شعره وحياته

ديوان الشاعر الكامل مع دراسة مستفيضة عن الحياة الاجتماعية والفكرية وطرف الشاعر وصلاته بالمفكرين ورجال الدولة . مطبوعات معهد الدراسات والبحوث العربية .

مخطوطة عربية في مكتبة صوفية البلغارية

اول كتاب يصف جملة كبيرة من المخطوطات العربية في بلغارية في الادب والتاريخ والجغرافية . مطبوعات المجمع العلمي العراقي .

شعراء العراق في القرن العشرين

تراجم الشعراء باقلامهم كالرصافي والزهاوي وناجي القشطيني ومحمد الهاشمي وكاظم الدجيلي مع ثلاثين من الشعراء المعاصرين في العراق مع اجمل المختارات الشعرية واعذبها .

داود باشا ونهاية المماليك في العراق

اول كتاب صدر باللغة العربية عن والي بغداد المشهور مع رسائله الخاصة التي كان يكتبها لاسرته باللغة الجورجية مع تركيز على حياته الخاصة .

في الادب العربي الحديث

هذه مقالات نقدية احدثت ضجة كبيرة ونفدت الطبعة الاولى فيها حياة الشعراء العرب النفسية ، مشكلات الادباء والمفكرين الخاصة. وطبعته الثانية تظهر قريبا في القاهرة عن دار الكاتب .

في ضمير الزمن

الطبعة الثانية من الشعر الرقيق الذيلم تبق الطبعة الاولى الا قليلا . وقدم لها الشاعر الكبير صالح جودت بدراسة مفصلة عن منزلة الشاعر بين شعراء عصره مثل الشاعر ناجي ورامي وشعراء ابولو .

الحان

مجموعة الشعر الذي نظم ايام الجامعة حياه في المقدمة الشاعر الكبير احمد رامي بقصيدة من خرائده . والطبعة الثانية طبعت في القاهرة.

لهاث الحياة

ذكريات اوربا في حلوها ومرها ومرحها وبؤسها سجلها في شعر لذيذ جميل . طبع في بيروت .

من رحلة الحياة

مختارات عذبة من شعر الشاعر مع ترجمة لحياته من بعقوبة الى لندن وما قاساه من صعاب وما واجهته من عقبات وكيف ذللت .

النصرة في اخبار البصرة

نسخة فريدة وحيدة من دراسة لحياة البصرة في القرن التاسع عشر الاجتماعية والاقتصادية والزراعية حققها الكاتب وعلق عليها تعليقات مثيرة في هذه الفترة من التاريخ في العراق . تطلب من مكتبة المثنى في بغداد والمكتبة العصرية .